# يوجورثا - ثائر جزائرى ضد الهيمنة الرومانية

أ. د. محمد السيد محمد عبد الغنى(*)

إن أى دارس لتاريخ الجمهورية الرومانية يعرف شخصية يوجورثا ملك نوميديا ( الجزائر حاليًا ) فى الجزء الأخير من القرن الثانى ق. م. وسبب تميز هذه الشخصية وبروزها - على هامش أحداث التاريخ الرومانى فى تلك الفترة - أنها ارتبطت فى أذهاننا بظاهرة الفساد والرشوة التى انتشرت حينذاك على أعلى مستوى بين شاغلى المناصب العليا والدنيا من الرومان بعد توسع الدولة الرومانية فى أرجاء البحر المتوسط . لقد صُوِّر لنا يوجورثا فى كتب ومراجع التاريخ الرومانى على أنه شيطان رجيم انتزع عرشًا لم يكن من حقه بطرق غادرة وغير مشروعة وقتل أبناء عموته تحقيقًا لذلك وأغرق الموظفين الرومان فى مستنقع الفساد لكى يغضوا الطرف عن أعماله المشينة هكذا تكون الصورة عندما يكتب الطرف المنتصر التاريخ ( الرواية الرومانية ) ولا يصلنا صوت الطرف الآخر المنهزم، فتنطبع فى أذهاننا صورة أحادية الجوانب ؛ وتصبح بفعل التكرار والإلحاح عليها أقرب إلى البديهيات . لكن إلى أى مدى كانت هذه الرواية الرومانية عن يوجورثا صحيحة ؟ هل صحيح أنه لم يقهر عدة جيوش رومانية و لم يحبط كثيرا من مخططات الرومان فى هذه المنطقة إلا بالغدر والرشوة دون سواهما ، هل صحيح أن ماريوس - الذى كان انتصاره على يوجورثا هو نقطة انطلاقة لزعامة الدولة الرومانية - قد هزم يوجورثا وأسره لأن الأول تمتع بالنزاهة والتجرد والكفاءة العسكرية العالية فقط ؟

هذه هى مجمل القضايا التى يناقشها هذا البحث . إن الهدف من هذا البحث - بعد قراءة متأنية للمصدر الروماني الذى تناول هذه الواقعة بالتفصيل وهو المؤرخ الرومانى سالوستيوس من القرن الأول ق. م. - هو إعادة فتح هذا

---

(*) أستاذ التاريخ اليونانى والرومانى - كلية الآداب بجامعة الإسكندرية والمعار حاليًا لجامعة الكويت .

الملف ومراجعة هذه المقولات الرومانية التى تتسم - فى تقديرى المتواضع - بقـدر كبير من التحيز والمبالغة . إن البحث محاولة لإعادة الاعتبار إلى شـخصية يوجورثـا من خلال المصدر الرومانى ذاته(!) الذى استقى منه الباحثون فى التاريخ الرومـانى معلوماتهم وصاغوها بصورة انتقائية مُهمّشة ليورجورثا ومنحازة للطرف الرومانى المنتصر .

ولنتناول الآن نقاط هذا البحث بصورة أكثر عمقًا وتفصيلاً حتـى نصـل إلى مفهوم أكثر واقعية عن هذا الصراع بين الدولة الرومانية ويوجورثا ملك نوميديا .

## ماذا عن شخصية يوجورثا وظروف نشأته ؟

من المعلوم أنه مع نهاية القرن الثالث ق. م. حوالى عام ٢٠٢ تمكنـت رومـا من أن تكسب الحرب البونية الثانية بينها وبين قرطاجة وأن تحطم فـى موقعـة زامـا أسطورة البطل والقائد القرطاجى الفذ هانيبعل الذى أذاق روما الأمريـن وهزمهـا هزائم مدوية خلال خمسة عشـر عامًـا ( ٢١٨ - ٢٠٣ ق. م. ) . كـان مـن بـين حلفاء روما فى هذا الموقف العصيب قائد نوميدى هو ماسينيسا جد يجورثـا الـذى كان فى صف سكبيو الإفريقي ( القائد الرومانى الكبير وبطل موقعة زاما ) . وقـد كافأه الرومان على وقفتـه تلـك بمسـاعدته فـى اعتـلاء عـرش نوميديـا بعـد هزيمـة هانبيعل والإطاحة بالملك النوميدى الذى كان يوازره وهو سيفاكس . وهكذا ظل ماسنيسا ملكًا على نوميديا من نهاية الحرب البونية الثانية عام ٢٠٢ ق. م. وحتـى وفاتـه عـام ١٤٩ ق. م. ( أى قبـــل تدمـير قرطاجـة نهائيًـا علـى يـد الرومـان وتحويلها إلى ولاية أفريقيا الرومانيـة عـام ١٤٦ ق. م. بثـلاث سـنوات ) . وطيلـة حكم ما سينيسا فى توميديا كان حليفًا وصديقًا للشعب الرومـانى ، وكـان يشـن الهجمات على قرطاجة المنهزمة من روما والمكبلة بشروط معاهدة مهينة ، ويعتـدى عليها بين حين وآخر - وبإيعاز من روما - حتى لا تقوى شوكتها فتعود لتشـكل خطرًا على روما من جديد . وبعد وفاة ماسينيسا تولى العرش من بعده ابنه الوحيد المتبقى على قيد الحياة ميكبسـا ( إذ كـان لـه ولـدان آخـران همـا ماسـتنبال " أبـو

يوجورثا " وجولوسا توفيا فى سن مبكرة ) . وظل ميكبسا يحكم نوميديا فى الفترة من ١٤٩ إلى ١١٨ ق. م. حين توفى ، وكان يسير على نهج أبيه ماسينيسا في علاقته بالرومان إذ استمر ( حليفًا وصديقًا ) لهم ، وهى عبارة توحى بقدر كبير من التبعية للدولة الرومانية لأن التحالف والصداقة الحقيقية تكون فى أغلب الأحوال بين أنداد .

فى خلال فترة حكم ميكبسا فى نوميديا كان يوجورثا ( ابن أخيه ماستنبال من إحدى المحظيات ) قد شب عن الطوق وبلغ سن الشباب ، فرباه ونشأه فى القصر الملكى مع ولديه الأصغر سنا ادهربال وهيمبسال ، وتبناه قبل وفاته وأوصى به شريكًا فى الحكم مع ولديه ليحكم المملكة من بعده ثلاثة هم ولداه وابن أخيه(١) .

ويتحدث المؤرخ سالوستيوس عن هذا الأمير الشاب يوجورثا فيذكر أنه كان يتمتع ببنيان قوى ووسامة فى الخلقة " لكنه تمتع فوق كل ذلك بعقلية فذة ، ولم يستسلم لإفساد الترف أو الاسترخاء بل أنه - جريا على عادة قومه - كان يركب الخيل ويرمى الرمح ويتنافس مع أقرانه فى سباقات الجرى . ورغم أنه كان يتفوق عليهم جميعًا فقد كان محبوبًا من الجميع . كما كرس جل وقته للصيد والقنص وكان أول أو من أوائل من صرع ليثا أو غيره من الضوارى . لقد أنجز الكثير والكثير لكنه نادرًا ما كان يتحدث عن نفسه " . ويذكر المؤرخ أن الملك ميكبسا قد انزعج من بطولات ابن أخيه وخشى من طموح ابن أخيه نحو الانفراد بالعرش على حساب ولديه الصغيرين " كما لاحظ الحب والإخلاص الذى غرسه يوجورثا فى نفوس النوميديين ، لذا كان يخشى من اندلاع شغب أو حرب من جانبهم إذا ما أقدم على اغتياله بالحيلة والغدر "(٢) .

وحين بلغ الانزعاج من قوة يوجورثا مبلغه فى نفس الملك ، ورغب فى التخلص منه بطريقة ذكية كان ذلك التصرف فى مصلحة يوجورثا ، وأكسبه خبرة قتالية كبيرة ، كما كان مجالاً لإظهار قدراته العالية المذكورة أعلاه أمام

الرومان مما جعله يحظى بصداقتهم وتقديرهم ورفع أسهمه وزاد من شعبيته - المرتفعة أصلاً - فى نوميديا . ذلك أن عمه ميكبسا - فى محاولته للتخلص من يوجورثا - بعث به على رأس قوة نوميديا لمعاونة حلفائه الرومان فى قمع ثورة مدينة " نومانتيا " الأسبانية عام ١٣٤ ق. م. وكان يأمل فى أن يسقط يوجورثا ضحية سهلة لرغبته فى استعراض قوته أو لعدو شديد البطش " .

Sperans vel ostentando virtutem vel hostium saevitia facile eum occasurum

لكن الأمور جرت على عكس توقعات ميكبسا تمامًا ، ونال يوجورثا سمعة ممتازة من خلال بطولاته والتزامه بالواجب فأصبح صديقا حميمًا ومصدر رعب للنومانتيين . لقد حقق فى الحقيقة معادلة صعبة المنال إلى أبعد حد إذ كان باسلاً فى المعارك وحكيمًا فى إسداء النصح فى آن واحد ، رغم أن إحدى الصفتين وهى الحكمة تؤدى إلى التخوف والأخرى وهى الشجاعة تقود فى أغلب الأحيان إلى التهور "(٣) .

هكذا كانت شخصية يوجورثا الحقيقة - باعتراف أعدائه - تجمع بين الشجاعة غير المتهورة والحكمة غير الهيابة والكياسة التى يأسر بها قلوب من يتعامل معه من رومان أو غيرهم ، كما تمتع رغم كل ذلك بالتواضع الجم الذى اجتذب إليه قلوب مواطنيه من النوميديين مما جعل عمه ميكبسا يخشى من أن يغدر به مخافة تمرد وثورة شعبه كما أسلفنا .

أمام أمير يتمتع بكل هذه الصفات التى قلما تجتمع فى شخص واحد صار لزاما على عمه الملك ميكبسا أن يتبناه ويجعله ضمن ورثته على العرش - رغم كرهه لذلك - لاسيما بعد أن أوصى القائد الروماني الشهير سكبيو أيميليانوس - قائد حملة " نومانتيا " الذى دمر المدينة المتمردة - الملك ميكبسا خيرًا بيوجورثا وأشاد به إشادة حارة وهنأ الملك ميكبسا على إنجازات هذا الشاب الرائع الذى تعتز به روما(٤) .

**والآن كيف صورت روما يوجورثا بعد أن انقلبت عليه وتصادمت مصالح الطرفين ؟**

حين وصل يوجورثا إلى عرش مملكة نوميديا بعد وفاة عمه الملك ميكبسا عام ١١٨ ق. م. - بالمشاركة مع ولدى عمه أدهربال وهيمبسال - ثم تخلصه تدريجيًا من شريكيه فى الحكم - لاعتبارات سنفصلها فيما بعد - شكل ذلك تعارضا مع مصالح روما فى نوميديا وزعمها الحفاظ على الشرعية فى تلك المملكة. وهنا بدأ تصوير يوجورثا يتخذ شكلا مغايرًا للصورة التى رسمها له الرومان أعلاه ، وانعكس ذلك فى سياسات وتصرفات الرومان تجاهه وفى كتاباتهم عنه بعد انتهاء الأمر برمته .

لقد صوروه على أنه ذلك الطامع فى الاستئثار بعرش المملكة وحده الذى سعى بكل السبل - لا سيما الغدر والخديعة - إلى التخلص من أبناء عمه شركائه فى الحكم وأنه بذلك كشف عن جحوده ونكرانه لجميل عمه الذى تبناه وأشركه فى الحكم(٥) . كما صوروا أن روما حاولت أن تحمى شرعية الحكم فى المملكة وترد يوجورثا عن مخططاته للاستئثار بحكم نوميديا - خصوصًا بعد أن اغتال ابن عمه الأصغر هيمبسال - إلا أنه استطاع بمراوغته ودبلوماسيته وسلاح الرشوة الفتاك - قبل هذا وذلك - التأثير فى نفوس فئة غير قليلة من كبار شاغلى المناصب فى روما لمساعدته على المضى فى تنفيذ مخططه فى أن يصبح السيد الأوحد لنوميديا كلها بالصمت عن أفعاله حينا ومؤازرة مواقفه وتبريرها فى السناتو حينا آخر .

لقد بالغ سالوستيوس فى التركيز على سلاح الرشوة الذى أشهره يوجورثا فى وجه روما وصوره كما لو كان سلاحه الوحيد فى كسب معاركه الدبلوماسية والعسكرية ، ولكن سالوستيوس لا يُنحى باللائمة فى هذا الموقف على يوجورثا بمفرده بل على ظروف المجتمع الرومانى فى أواخر القرن الثانى ق. م. - بعد تدمير قرطاجة ومصرع الأخوين جراكوس المدافعين عن حقوق العامة فى روما - الذى انتشرت فيه وجوه فساد عديدة من طمع وجشع وصلف ورشوة وظلم وسوء

استغلال للسلطات كنتيجة لحالة السلم التى سادت المجتمع الرومانى بعد إخضاع معظم أعداء روما فى حوض البحر المتوسط وما ترتب على ذلك من وفرة ورخاء لبعض فئات المجتمع الرومانى من النبلاء واحتدام الصراع الحزبى بين النبلاء والعامة(٦) .

يذكر سالوستيوس أنه فى أثناء هذه الظروف ، وبينما كان يوجورثا يحارب بقواته النوميدية إلى جانب الرومان فى نومانتيا كان هناك من بين النبلاء الرومان من يهتمون بالثروة أكثر من الفضيلة واحترام الذات وبالشهرة الزائفة أكثر من الأمانة . إن هذه الفئة هى التى أشعلت فى نفس يوجورثا - حسب قول المؤرخ - نوازع الطموح والطمع فى عرش نوميديا وألقت فى روعه أن " كل شىء فى روما قابل للبيع " . ويذكر أن قائد الحملة سكبيو أميليانوس - بعد أن أثنى على شجاعة يوجورثا - نصحه بأن يحرص على كسب ود الشعب الرومانى كله بدلاً من كسب ود بعض الأشخاص و " ألا يعتاد على تقديم الرشوة لأنه من الخطر أن تشترى من فئة قليلة ما هو حق للغالبية "(٧) . هذه النصيحة الأخيرة التى يذكر سالوستيوس أن سكبيو أسداها إلى يوجورثا فى شبابه ربما كانت مفبركة ومقحمة لتخدم سياق الموضوع وتعطى الانطباع بأن هذه النزعة كانت كامنة فى نفس يوجورثا منذ فترة طويلة ومنذ تعاملاته الأولى مع الرومان ، وأن القائد الرومانى ربما فطن إلى هذه النزعة فى يوجورثا أو استشعرها وحذره من مغبتها بالقول " إذا ما استمر يوجورثا على نفس الدرب كما بدأ فإن الشهرة والعرش سوف يأتيانه سعيًا ، أما إن تعجل فسوف يلقى بنفسه فى الهاوية بمآله " . يريد المؤرخ أن يُثبتَ فى يقيننا أن هذه النبؤة لسكبيو قد صدقت وتحققت من جراء جشع يوجورثا وتهوره وعدم أخذه بنصيحة القائد الرومانى المخلص له ! قمة فى الدعاية الرومانية بغير شك تصور الرومان وهم يسدون الحكمة للآخرين فإن لم تُجدِ لقنوا هؤلاء المتهورين درسًا قاسيًا بالقوة والبأس .

وبعد هذه المقدمة الموحية عن بدايات نزعة الرشوة والإفساد عند يوجورثا يعدد المؤرخ المناسبات العديدة التى تجلت فيها هيمنة هذه النزعة عليه خصوصًا

بعد وصوله إلى العرش ثم تخلصه من شركائه فى الحكم وهما ابنا عمه ميكبسا . فحين تخلص يوجورثا من ابن عمه الأصغر هيمبسال باغتياله من خلال مؤامرة سيطر الرعب على الأخ الأكبر أدهربال الذى هزم فى معركة أمام يوجورثا وفر إلى ولاية أفريقيا ومنها إلى روما واستعطف السناتو التدخل لنجدته . وفى هذا الظرف أرسل يوجورثا مبعوثيه إلى روما لتفادى غضبها وقام هؤلاء برشوة كل من استطاعوا رشوته " فأرسل مبعوثيه إلى روما بمقدار كبير من الذهب والفضة وأصدر إليهم توجيهاته بأن يُحمِّلوا أصدقاءه القدامى أولاً بالهدايا ثم يكتسبون أصدقاء جدد - أى باختصار ألا يتباطؤا فى كسب ما استطاعوا بالسخاء والهبات"(٨) . ويذكر أن هؤلاء المبعوثين دافعوا أمام السناتو عن وجهة نظر يوجورثا وردوا الاتهامات الموجهة إليه لكن دفاعهم - حسب تدخل المؤرخ - " كان يعتمد ويستند إلى الرشوة أكثر مما يستند إلى عدالة قضيتهم " Iargitione magis quam causa freti ( XV. 1 ) وكانت نتيجة مداولات السناتو بعد مرافعات أدهربال من ناحية ومبعوثى يوجورثا من ناحية أخرى أن اتخذ قرار من السناتو بتقسيم مملكة ميكبسا ( نوميديا ) بين يوجورثا وأدهربال . هذا القرار فى تقدير سالوستيوس هو انتصار لرأى الأغلبية المؤيدة ليوجورثا فى السناتو والذين وصفهم بأنهم يعلون من قيمة المال والحظوة على حساب الحق(٩) . ثم يذكر كيف استقبل يوجورثا أعضاء بعثة السناتو المكلفة بتنفيذ تقسيم المملكة استقبالاً حافلاً واستقطب معظمهم بالرشاوى والهدايا والوعود ، وكانت النتيجة مجاملته وإعطاءه الجزء الغربى من المملكة الأكثر خصوبة وسكاناً(١٠) .

وفى الفترة التالية لتقسيم المملكة بين الرجلين خطط يوجورثا للاستيلاء على المملكة بأكملها لكى يصبح هو السيد الأوحد ، ونفذ ذلك عن طريق التحرشات والإغارات الاستفزازية على أملاك أدهربال فى شرق المملكة لكى يخلق لنفسه ذريعة لشن الحرب عليه ، ثم انتقل إلى المواجهة والهجمات الصريحة وحصار مدينة " كيرتا " التى اعتصم بها خصمه وحاصرها وأسقطها وقتل أدهربال رغم احتجاجات وإنذارات روما على مدى عامى ١١٣ / ١١٢ ق. م.(١١) . هذا

الموقـف أثار ثائرة الغضـب الشعبـى الرومانى لاسيما بعد مقتل عدد كبير مـن " الإيطاليين " من تجار مدينة " كيرتا " بعد سقطوها ، ويقول المؤرخ سالوستيوس أن أعوان يوجورثا وأذنابه فى السناتو حاولوا امتصاص هـذا الغضـب الشعبى مـن خلال قوة نفوذ وأموال الملك لكـن دون جدوى . لقـد صـدر قرار مـن السـناتو بمحاربة يوجورثا عسكريا وغزو مملكة نوميديا وأسـندت هـذه المهمـة إلى القنصـل لوكيوس كالبورسوس بستيا الذى أختار أن يكون مساعده فـى هـذه الحملـة أحـد النبلاء الأقوياء وهو القنصل الأسبق أيميليوس سكاوروس(١٢) . ورغم ثناء المـؤرخ على الصفات الممتازة التى يتمتع بها القائدان من طاقة وحيوية وروح عالية وقـدرة على التحمل وذهن حاد وبصيرة ورؤية بعيدة النظر وخبرة عسكرية عاليـة ورباطـة جأش فإنه يعيب على كليهما جشـعهما وحبهمـا الفـائق للمـال والـثروات(١٣) . ويخلص المؤرخ مـن ذلـك الموقـف إلى أن يوجورثـا لعـب علـى وتـر الفسـاد لـدى الرجلين وتوصل معهما إلى تمثيليـة محكمـة يتظـاهر هـو فيهـا بالاستسـلام للجيـش الرومانى ويقـدم رمـوزًا شـكلية علـى هـذا الاستسـلام المزعـوم مثـل بعـض الفيلـة وقطعان من الماشية والخيل تسلم للكويستور الرومانى(١٤) ، فى حين التقـى الملـك ( يوجورثا ) سرا بالقـائدين ورتـب معهمـا تفـاصيل الصفقـة بعـد أن قـدم رشـوة ضخمة من قبل لمهندس هذه الصفقة سكاوروس مساعد بستيا(١٥) .

وحين تسربت هذه الأنباء إلى روما إثر عودة القنصل بستيا إليهـا للإشـراف على الانتخابات اشتعل النقاش حول فساد القنصـل فـى كـل مكـان فـى رومـا لا سيما بين العامة الذين كانوا حانقين جدًا على فساد النبـلاء الذيـن لاذوا بـالصمت والتردد . وفى هذا الجو أشعل أحد ترابنة العامة هذا الحنق والغيظ الشعبى المكبوت بخطبه النارية عن مدى الفساد والجشـع والأنانيـة وخيانـة المسئولية والأمانـة وبيـع الوطن للأعداء وهى الجرائم التى تفشت بين صفوف النبـلاء . وعلـى أثـر ذلـك ، وبعد خطب التريبون جـايوس ميميـوس الحماسـية ومطالبتـه بمعاقبـة هـؤلاء الخونـة وإحضار يوجورثا إلى روما – بعد منحه الأمان – ليكون شاهدًا حيـا علـى خيانـة وفساد هؤلاء القادة وغيرهم من النبلاء(١٦) . وحين اطمأن يوجورثا على سـلامته

من خلال تعهدات البرايتور لوكيوس كاسيوس الذى أنيطت بـه مهمـة اصطحـاب يوجورثا إلى روما ، توجه إلى هناك لكى يدلى بشهادته حـول مخالفـات ورشـاوى تلقاها كبار القادة والنبلاء وذلك أمام الجمعية القبلية فى رومـا . وفـى رومـا لقـى تشجيعًا من أعوانه الرومان واستمال إليه المزيد منهـم وأبرزهـم أحـد ترابنـة العامـة ويدعى جايوس باييبوس بتقديم رشـوة ضخمـة إليـه(١٧) . وفـى المقـابل قـام هـذا الأخير بدور هام فى إنقاذ يوجورثا من براثن العامة المهتـاجين فـى الجمعيـة القبليـة ومن ضغوط التريبون الآخر الثائر جايوس ميميوس الذى أعد قائمـة اتهـام مفصلـة لأعوان يوجورثا فى روما وألح فى طلب شهادته . عندئـذ تدخـل الـتريبون الآخـر جايوس باييبوس وطلب من يوجورثا ألا ينبس بكلمة رغم هيـاج العامـة ، وانتهـى الأمـر بـأن انفضـت الجمعيـة القبليـة وسـط غضـب شـديد ومكتـوم مـن جمـوع العامة(١٨) . وبعد أن اطمأن على مصـيره بعـد هـذا الموقـف شـرع يوجورثـا فـى استغلال نفوذه وأمواله وهو فى روما للتخلص من أحد اللاجئين من العائلة الملكيـة النوميدية فى روما وهو ماسيفا بن جولوسا بن ماسينيسا أحد ورثة عـرش نوميديـا من بعده ، والذى فر من نوميديا بعد سـقوط كيرتـا ومقتـل أدهربـال . وقـد نفـذ يوجورثا هذه الخطة بالفعل حين كلف بها ساعده الأيمـن وموضـع ثقتـه بوميلكـار الذى كان معه فى روما والذى استأجر بعض المحترفين الرومان الذيـن نفـذوا هـذه الجريمـة ، بـل واسـتطاع أن يُهـرِّب بوميلكـار سـرا إلى نوميديـا رغـم الاسـتياء والاستهجان الشديد للجريمة من الرومان . ورغم ذلك كله لم يملك الرومان إيـذاء يوجورثا لما كان يتمتع به من حماية وحصانة وإنما طالبه السناتو بمغـادرة إيطاليـا ، وبعد أن خرج يوجورثا من بوابات روما آمنا بعد كل ما فعله قال عبارته الشهيرة: " مدينة ( روما ) للبيع ومقدر لها الدمار السريع لو وجد المشترى "(١٩) .

" Urbem venalem et mature perituram, si emptorem invenerit "

عند هذا الحد قررت روما العودة إلى ميدان القتال ضد يوجورثا مرة أخـرى وعينت هذه المرة القنصـل سبوريوس ألبينـوس لخـوض المعركـة عـام ١١٠ ق. م. وبعد أن وصل هذا القنصل إلى أفريقيا وأعد العدة للمعركة ضـد يوجورثـا راوغـه

يوجورثا وماطله وتظاهر بالاستسلام حينا وشن الهجمات على الرومان حينا آخر لكسب الوقت ، وهو ما نجح فيه يوجورثا وعاد ألبينوس إلى روما بسبب اقتراب موعد الانتخابات فى روما تاركًا أخاه أولوس ألبينوس للاضطلاع بالقيادة . ومن المعروف أن يوجورثا أحرز انتصارًا ساحقًا على هذا القائد بالإنابة وجيشه وأجبرهم على المرور من تحت النير رمزا للإذلال(٢٠) ( وهو انتصار سنتناوله فيما بعد ) . ويذكر سالوستيوس أن من بين عوامل انتصار يوجورثا فى هذه المعركة هو أن عملاءه قد جعلوا شغلهم الشاغل ليل نهار إغواء الجيش الرومانى من خلال رشوة قادة المئات وقادة سرايا الفرسان لكى يفروا من مواقعهم أو ليتركوها عندما يتلقون إشارة ما(٢١) .

هذه هى حالات الرشوة والإفساد بالمال للقادة والنبلاء وأصحاب المناصب الرومان من قبل يوجورثا كما رصدها المؤرخ سالوستيوس ، أما فيما تلى ذلك من أحداث فلم يتسن ليوجورثا إغواء القادة الرومان ذوى السلوك المستقيم والسيرة المنزهة عن الفساد مثل متيللوس وماريوس . لكن إلى أى مدى كانت هذه الصورة القاتمة عن يوجورثا - بصفته ذلك الشخص النهم إلى السلطة الماكر المراوغ المتعطش للدماء المفسد للقادة الرومان - صحيحة ؟ وهل كانت مهمة القادة الرومان الأقوياء ممن يتمتعون بالنزاهة الأخلاقية مثل ميتيللوس وماريوس سهلة هينة إذا كان أقوى أسلحته يوجورثا ضد الرومان وهو الرشوة - كما يزعم سالوستيوس مرارًا وتكرارًا(٢٢) قد سقط ؟ هل حارب هؤلاء ممن يوصفون بالنزاهة الأخلاقية معاركهم ضد يوجورثا بأخلاقيات الفارس النبيل الذى يواجه خصمه فى ميدان المعركة العسكرية فقط كما زعم الرومان لأنفسهم فى معاركهم المبكرة ضد المدن الأترورية وضد الملك بيروس ملك ايبيروس الذى حارب مع تارنتوم ضد روما(٢٣) ؟

هذه الأسئلة سوف نحاول الإجابة الموضوعية عنها من خلال المصدر الرومانى نفسه وهو المؤرخ سالوستيوس الذى تبنى وجهة النظر الرومانية ولكنه قدم - رغم ذلك - تفاصيل جيدة يمكن أن نستشف منها حقيقة الموقف .

**والآن نتساءل هل كان يوجورثا فعلاً ذلك الشخص النهم للسلطة والعرش فى حد ذاتهما ، وهل قام فى سبيل ذلك بالغدر وسفك دم ذوى قرباه وشركائه فى العرش ؟ أم أن هناك دوافع أخرى مختلفة لما فعل ؟**

لقد رأينا فى بداية هذا البحث كيف صور الرومان يوجورثا فى شبابه المبكر بأنه ذلك الشاب الجسور القوى الرياضى المتواضع الذى غرس محبته غرسًا فى قلوب مواطنيه ، وكيف نال بعد ذلك حب واحترام الرومان له بعد أن أبلى معهم بلاء حسنا فى نومانتيا ، وكيف أوصوا به خيرًا ليصبح أحد الشركاء فى عرش نوميديا بعد وفاة عمه ميكبسا عام ١١٨ق. م. كل ذلك يؤكد أنه كانت تتوافر به كافة المؤهلات ليصبح ملكًا قويًا مهابا لم يسع نحو العرش بل إن جدارته هى التى أوجدت وخلقت له الفرصة ليصبح شريكا فى العرش ، بل والشريك الأقوى والأكثر جدارة .

لكن تبقى النقطة الأكثر جدارة بالمناقشة هنا وهى : هل عمد إلى الاستئثار بالعرش والتخلص من شريكيه بالغدر وسفك الدماء من أجل الانفراد بعرش المملكة فقط ؟

الإجابة ببساطة من واقع الأحداث المذكورة عند سالوستيوس تخالف هذا التصور - رغم إلحاح هذا المؤرخ على ترسيخه . إن دوافع التخلص من الملكين الشريكين له كانت تكمن فى نوعين من الدوافع : ذاتية وموضوعية . تتمثل الدوافع الذاتية فى احتقار هيمبسال ( الابن الأصغر من أبناء عمه ميكبسا ) ليوجورثا وحقده عليه وعدم رغبته فى أن يشاركهما يوجورثا فى حكم المملكة وأعرب عن ذلك صراحة فى بداية تولى الثلاثة عرش المملكة(٢٤) . هذه المعاملة من هيمبسال تجاه يوجورثا أثارت استياء وقلق يوجورثا نحوه وصعدت من شكوكه بأن هيمبسال قد يدبر مؤامرة للخلاص منه ، لذلك أخذ يوجورثا زمام المبادرة ورسم مع أعوانه خطة لاغتيال هيمبسال فى داره(٢٥) . ومن الطبيعى فى هذا الصدد كذلك ألا يأمن الأخ الأكبر أدهربال الذى لابد - إن ترك وشأنه - أن يثأر لأخيه ذات يوم .

أما الدوافع الموضوعية ليوجورثا فى التخلص من شريكيه فى الحكم وابنى عمه فيأتى على رأسها اختلاف شخصيته عنهما وبالتالى اختلاف نظرته عنهما فى أمور السياسة والحكم ولا سيما موقفه من روما ونظرته إليها . إن علاقة روما بمملكة نوميديا - منذ حكمها ماسينيسا جد يوجورثا بعد موقعة زاما سنة ٢٠٢ وحتى حكم الشركاء الثلاثة عام ١١٨ق. م. - كانت فى ظاهرها علاقة صداقة وتحالف ، لكنها كانت فى حقيقتها علاقة تبعية من نوميديا لروما . ولعل كلمات أدهربال وهو يناشد شيوخ السناتو ويستجديهم الوقوف إلى جواره ضد يوجورثا الذى هزمه وأجبره على الفرار خير شاهد على ذلك . ونورد فيما يلى مقتطفات من خطبة أدهربال هذه تؤكد هذا النهج من قبل ملوك نوميديا السابقين واقتناع أدهربال بصحة وسلامة هذا النهج ، إنه يقول مثلا :

" إن ماسينيسا قد علمنا - أيها الآباء الموقرون - ألا نرتبط بغير الشعب الرومانى وألا نقيم أى تحالفات أو نبرم أى معاهدات جديدة . لقد قال بأن فى صداقتكم الحماية الكافية لنا وأنه إذا تبدلت أقدار امبراطوريتكم فسيكون فى ذلك سقوطنا "(٢٦) .

" أيها الآباء المبجلون ، لقد نصحنى أبى ميكبسا وهو يحتضر أن أضع فى اعتبارى أننى مجرد حاكم على مملكة نوميديا ، أما بقية الأمور من تشريع وسلطة فى المملكة فإنها من شأنكم وبأيديكم . كما نصحنى أن أبذل قصارى جهدى فى تقديم أقصى عون ممكن للشعب الرومانى فى السلم والحرب وأن اعتبركم أهلا لى وقربى وجيران . وقد صرح لى بأننى إن فعلت ذلك فإننى سأجد فى صداقتكم الجيش والثروة والمتاريس التى تصون مملكتى "(٢٧) .

ويختتم أدهربال توسلاته الحارة لرجال السناتو بقوله :

" لا تسمحوا بسقوط مملكة نوميديا التابعة لكم ولا تسمحوا بدمارها من خلال الشر والغدر وسفك دماء أسرتى "(٢٨) .

أما يوجورثا فكانت له وجهة نظر مغايرة تمامًا فى الرومان أفصح عنها حينما وصلت العلاقة بينه وبين روما إلى طريق مسدود وإلى الحرب الفعلية ضد روما فى ميدان القتال ، لا سيما بعد أن أرسلت روما إليه بعضًا من أشجع قادتها مثل ميتيللوس ثم ماريوس . لقد كان يوجورثا يرى فى الرومان طامعين فى بلاده وأن على شعب مملكته أن يدافعوا عن أنفسهم وعن مملكتهم أمام جشع الرومان(٢٩) . كما كان يرى فيهم أمة ظالمة وأطماعها لا تقف عند حد وتناصب الجميع العداء ولديها شهوة السيطرة والتسلط وتقطر كراهية لكافة الممالك لا سيما القوية منها، وضرب أمثلة على ذلك بعدائهم للقرطاجيين والملك بيرسيوس ( ملك مقدونيا ) من قبل(٣٠) .

لكن إذا كان الأمر كذلك فلماذا حارب إلى جانب الرومان فى قمعهم لتمرد مدينة نومانتيا فى أسبانيا سنة ١٣٤ ق. م. ولماذا اكتسب صداقة وود العديد من رجالهم البارزين بالهدايا وغيرها ؟ لقد فعل ذلك فى شبابه وتنفيذا لأوامر عمه الملك ميكبسا الذى كان حليفًا للرومان يقف معهم حربًا وسلمًا وأراد - من طرف خفى كما رأينا من قبل - أن يتخلص من هذا الشاب القوى الذى تخوف منه على مستقبل ولديه . ولكن من جانب آخر سواء كانت كراهية يوجورثا للرومان قد تولدت قبل مشاركته لهم فى هذه الحملة أو بعدها - وهو الأرجح - فإن مشاركته لهم فى هذه الحملة عادت عليه بفوائد شتى . إذ ربما أدرك خلال هذه الحملة عن كثب مدى ظلم وقسوة الرومان حيث دمروا تلك المدينة التى ثارت عليهم - كما دمروا من قبل مدينتى كورنثه وقرطاجة عام ١٤٦ ق. م. - وكان نفس القائد الذى دمر قرطاجة وهو سكبيو ايميليانوس هو من دمر نومانتيا . كما تعلم من هذه الحملة أساليب القتال الرومانية ووعاها واستفاد منها فى المستقبل حين اضطر لقتالهم . وربما كان من أكبر مكاسبه فى هذه الحملة أنه استطاع أن يعد جيدًا لهدف مرحلى وهو تدعيم فرصته للوصول إلى عرش نوميديا من خلال كسب ثقة الرومان أصحاب الكلمة العليا فى تزكية هذا الأمير كما رأينا . كما أدرك عن قرب نقطة ضعف معظم الساسة الرومان وهو جشعهم

وحبهم للثروات وهو سلاح سيحاول استغلاله ما أمكن فى حربه ضدهـم وكثيرًا ما أثبت فعاليته كما رأينا فعلاً . باختصار لقد درس يوجورثـا فـى نومانتيـا عـدوه وعرف عن قرب أنجع الطرق للتعامل معه .

من هنا كان من الطبيعى أن يتخلص يوجورثا - بعد تحقيـق هدفـه المرحلـى بالوصول إلى العرش بالمشاركة مع ولدى عمه - من شريكيه فى العـرش لاختلافـه معها جذريًا فى نظرته إلى روما التى يتطلع إلى الخلاص من وصايتهـا علـى مملكتـه وتدخلها الدائم فى شئونها . إن تطلع يوجورثـا لتحقيـق سيادة واسـتقلال مملكتـه كان يقتضى أولاً التخلص من أذناب روما وأتباعها فـى نوميديـا حتـى لا يعرقلـوا هدفه فى السيادة على نوميديا . لقـد كـان هـدف يوجورثـا إذن أن يحكـم مملكـة نوميديا المستقلة القوية التـى لا تديـن بالتبعيـة ولا تتلقـى الأوامـر والتعليمـات مـن السناتو . لكن يوجورثا لم يكن ذلك الرجل المندفع المتهور بل كان ذلك السياسـى الحصيف الداهية الواقعى الذى يدرك أن لا قبل له بالصدام المباشر والتمرد الصريـح على روما منذ البداية ، إن ذلك كان بمثابة نـوع مـن الانتحـار السياسـى . لذلـك وظف يوجورثا كل أسلحته ورتبها لمواجهة الرومان على مراحل ، وتمثلت أسلحته فى المال والدبلوماسية الماهرة التى تعرف كيفية احتواء الخصم ، وبعد هـذا وذاك- وفى نهاية الأمر حين وصلت الأمور بينـه وبـين الرومـان إلى طريـق مسـدود - لم يكن هناك مناص من اللجوء إلى القوة العسـكرية واستخدامها بدرجـة عاليـة مـن الذكاء الذى أربك وأزعج خصومه كثيرًا.

## أما عن أسلحة يوجورثا ضد الرومان :

فلقد كان استخدامه لسلاح المـال والهدايـا فـى استقطاب عـدد كبير مـن الساسة والقادة الرومان إلى صفه - كما رأينا من قبل - أمرًا مشروعًا فـى حـرب بين طرفين غير متكافئين يتفوق أحدهما ( الرومـان ) علـى الآخـر عـددًا وعتـادًا . فحين أدرك يوجورثا مدى ما وصل إليه المجتمع الرومانى مـن انغمـاس فـى الفسـاد وحب جامح للثروات كان لابد له أن يتسلل إلى مواقعهم الحساسة بهـذا السـلاح الذى أثبت فعالية غير عادية . إن أى جهاز استخبارات فى عالمنا الحديث والمعاصر

يفاخر كثيرًا إذا نجح فى تجنيد عملاء له فى دولة الخصم خاصة إذا كانوا يشغلون مواقع حساسة ، فلماذا ينكر الرومان على يوجورثا ممارسة هذا الأسلوب ؟ الإجابة الطبيعية : لأن ذلك كان ضد مصالحهم كما أن يوجورثا قد مارس هذه السياسة بدهاء شديد ولم يدخلها فى منعطف حاد بمعنى أنه لم يقم بهذا الأمر بصورة سرية - دائمًا -حتى لا توجه لـ " عملائه " من الرومان تهمة " الخيانة " الصريحة ، بل جعل هذا الأمر يبدو فى صورة " هدايا " يقدمها لـ " أصدقاء " .

أما سلاحه الثانى الذى حاول توظيفه بمهارة ضد الرومان فهو سلاح الدبلوماسية الذى حاول من خلاله إقناع الرومان بأنه يكن لهم كل احترام ويرتبط معهم بصداقة وطيدة فى نفس الوقت الذى ينفذ فيه مخططاته كما دبرها . وسنورد هنا بعض الأمثلة الواردة عند سالوستيوس للتدليل على دبلوماسية يوجورثا مع الرومان إلى أن بدأت نواياه فى الاستقلال بنوميديا تتكشف للرومان ، هنا برح الخفاء وزادت حدة الخصومة وأصبح ميدان المعارك العسكرية لا غير هو الفيصل بين الطرفين . فبعد أن اغتال شريكه الأصغر فى الحكم ابن عمه هيمبسال وأرغم أخاه أدهربال على الفرار إلى روما واللجوء للسناتو لإعادته لعرشه بعد توسل واستعطاف شديدين كان يوجورثا قد أرسل مبعوثيه كذلك إلى السناتو لتبرير التصرفات التى أقدم عليها ومحاولة إقناع الرومان بسلامة موقفه . وفى هذه المناسبة حاول هؤلاء المبعوثون - الذين يتحدثون بلسان يوجورثا - تفنيد مزاعم أدهربال وتصوير الموقف بصورة مغايرة : ففيما يتصل باغتيال هيمبسال ذكروا أن النوميديين قتلوه لقسوته ووحشيته ، وعن فرار أدهربال ذكروا أنه شن حربًا دون مبرر ضد يوجورثا ولما هزم ولم يتمكن من إلحاق الأذى بيوجورثا فر واشتكى ، أما عن مخاوف الرومان من انقلاب يوجورثا عليهم وعدم تنفيذه لتعليماتهم فقد أكد المبعوثون من قبله أن يوجورثا صديق الرومان وحليفهم الذى عرفوه فى نومانتيا لم يتغير(٣١) . وكان من نتيجة هذا الدفاع الدبلوماسى الماهر أنه حين طرح الأمر للمداولة بين أعضاء السناتو بعد سماع دفاع الطرفين أن مجموعة كبيرة من أعضاء السناتو - الذين يذكر سالوستيوس أنهم ممن طالهم إفساد يوجورثا - استهزأوا بدفاع أدهربال وامتدحوا فضائل يوجورثا وسخروا كل نفوذهم

وفصاحتهم وكل شيء ممكن للدفاع عن وجهة نظر يوجورثا(٣٢) . وترتب على ذلك صدور قرار من السناتو بتقسيم المملكة بين الطرفين المتحاربين يوجورثا وأدهربال كما أسلفنا .

وفي مناسبة تالية بعد التقسيم وبعد تحرشات واستفزازات وهجمات من يوجورثا حسب رواية سالوستيوس - لأملاك أدهربال والتحام الطرفين في قتال انتصر فيه يوجورثا واضطر أدهربال إلى أن يلوذ بمدينة كيرتا ( قسنطينة ) التى كان بها عدد كبير من التجار الإيطاليين . هنا حاصر يوجورثا المدينة حصارًا شديدًا قبل أن يسقطها ، وفي أثناء الحصار وصلت بعثة السناتو مسرعة لكى تعوقه عن إسقاط المدينة وطلبوا منه باسم السناتو والشعب الرومانى أن يلقى الطرفان المتحاربان السلاح ويتوصلا لتسوية قانونية لخلافاتهما . ولما كان هذا المطلب يتعارض مع رغبات ومصالح يوجورثا فقد كان رده على مطالب المبعوثين الرومان فيه رفض لهذه المطالب ولكن بدبلوماسية بالغة حيث طمأن الوفد الرومانى بأنه يحترم إرادة السناتو ورجاله وأنه يحرص على ذلك منذ شبابه المبكر وتربطه صداقة وطيدة بزعماء الرومان ، ولكنه - هكذا يقول - كلما ازدادت فضائله كلما عافت نفسه أن تطيق الجور والبغى . وذلك أن أدهربال تآمر لاغتياله فى خسة وأنه اكتشف وقاوم المحاولة الإجرامية ، وأن تصرف الشعب الرومانى لن يكون عادلاً ولا صائبًا إذا ما أبى عليه حقًا من حقوقه حسب القانون الدولى . وقال أنه سيرسل مبعوثين إلى روما على وجه السرعة ليشرح الأمر برمته . وعلى هذا افترق الطرفان دون أن تتاح الفرصة أمام الوفد الرومانى للحديث إلى أدهربال(٣٣) ، واستمر يوجورثا فى تنفيذ مخططه رغم تلقيه تهديدات عنيفة - لاحقًا - من مبعوثين رومان آخرين وفعل كل ما فى وسعه حتى أسقط المدينة وقتل أدهربال بعد تعذيبه(٣٤) .

وبعد سقوط كيرتا بهذه الطريقة اشتعل غضب عامة الرومان بتحريض من التريبون جايوس ميميوس وأرسلت حملة القنصل بستيا التى أخفقت بسبب الرشوة

، وفى النهاية طالب العامة باستدعاء يوجورثا للشهادة حول فساد نبلاء الرومان كما أسلفنا . ما يعنينا فى هذا المقام هو دبلوماسية يوجورثا عندما لم يشأ أن يستفز مشاعر الرومان وذهب إلى روما برفقة المبعوث المرسل لاصطحابه من قبل السناتو الرومانى ، والأهم من ذلك أنه - حرصا على مشاعر الرومان المستنفرة أصلاً - لم يأت إلى روما فى ثياب الملوك وفخامتهم بل ارتدى ملابس تثير الشفقة والتعاطف(٣٥) .

أما السلاح أو الأسلحة الأخرى التى استخدمها فى حربه ضد الرومان فقد كان قدراته العسكرية الفذة من شجاعة فائقة وذكاء خططى وتنظيمى شديد لقواته وقدرة بارعة على المناورة وإذكاء الحماس بين قواته والسرعة والسرية فى تحركاته التى ساعده عليها معرفته الوثيقة بجغرافية مملكته ودروبها التى أحسن استغلالها . إن يوجورثا المقاتل فى ساحات المعارك العسكرية ضد الرومان أثبت أنه لم يكن لقمة سائغة أمام القادة الرومان - حتى من تمتع منهم بسمعة عسكرية متميزة مثل متيلليوس وماريوس - بل كان ندا عنيدًا لهم وكال لهم ضربات موجعة وفاجأهم بمواقف وتكتيكات لم تكن فى حسبانهم .

ولنحاول أن نرصد بعضًا من أبرز المواقف العسكرية والقتالية ليوجورثا ضد الرومان والتى تجلت فيها شجاعته الفائقة وحسن تصرفه ومناوراته الذكية البارعة وبعضا من الضربات والهزائم الموجعة التى ألحقها بالرومان ، إن المواجهة العسكرية الحقيقية بين روما ويوجورثا بدأت عقب عودة الأخير من روما فى زيارته المشهورة التى لم تحقق أهداف الشعب الرومانى بل على العكس استغلها يوجورثا فى تصفية أحد منافسيه على العرش . وبعد عودة يوجورثا إلى بلاده أرسلت روما جيشًا لمحاربته بقيادة القنصل سبوريوس البينوس سنة ١١٠ ق. م. الذى أحسن الاستعداد للحرب ونقل القوات والمؤن والعتاد إلى إفريقيا محاولاً أن يضع نهاية للحرب مع يوجورثا قبل حلول الانتخابات فى روما بآية وسيلة . وفوجىء هذا القنصل المتحمس بخصم مراوغ ذكى أربك خططه إذ عمد يوجورثا إلى التلكؤ

والمناورات لاستهلاك الوقت وتثبيط همة القنصل إذ كان يتظاهر بالخوف والفرار ويقدم وعودا بالاستسلام حينا ويهاجم القنصل وقواته فى ضربات خاطفة من حين لآخر . وبهذه المماطلة المحسوبة أربك القنصل سبوريوس ألبينوس وجعله ألعوبة وهزوا حتى اقترب موعد الانتخابات فى روما فأبحر القنصل إلى هناك للإشراف عليها وترك أخاه أولوس ألبينوس على قيادة الجيش فى نوميديا(٣٦) . وقد حاول هذا الأخ أن ينجز ما أخفق فيه أخوه القنصل وهو إنهاء وحسم الحرب لصالح الرومان فقام باستدعاء الجند من معسكراتهم الشتوية فى يناير وقصد بقواته إلى مدينة " سوثول " فى قلب صحراء نوميديا حيث توجد الخزانة الملكية . ورغم الحصانة الطبيعية للبلدة وسوء الأحوال الجوية أصر أولوس على مهاجمة البلدة وأعد العدة لشن الهجوم . وهنا تعامل يوجورثا مع الموقف بدهاء واقتدار إذ أدرك غرور وقلة كفاءة هذا القائد الرومانى ومع ذلك مد له حبل الغرور طويلاً حين أرسل الملك إليه مبعوثين يطلبون منه الصفح والعفو فى نفس الوقت الذى ابتعد فيه بجيشه إلى الأحراش والطرق الجانبية كما لو كان يريد تجنب المواجهة . هذا الموقف أغرى أولوس ألبينوس بالابتعاد عن سوثول وتعقب يوجورثا وجنده وأمعن يوجورثا فى التظاهر بالتقهقر إلى مناطق قصية وأوعز إلى ألبينوس أنه إنما يفعل ذلك حتى يمكن أن يتوصل معه إلى صفقة أو اتفاق لا يثير الانتباه . وبعد كل هذه الترتيبات والمناورات قام ( بمداهمة معسكر أولوس ألبينوس فى جنح الليل بحشد كبير من النوميديين فسادت حالة من الذعر والارتباك بين الجنود الرومان بسبب ضخامة القوة النوميدية وظلام الليل الحالك مما أدى إلى فرار الجند الرومان تاركين أسلحتهم ولاذوا بتل مجاور ، ولولا انهماك النوميديين فى جمع الغنائم ونهب المعسكر لأحرزوا نصرًا ساحقًا ) . ورغم ذلك فإن يوجورثا اجتمع فى اليوم التالى بالقائد الرومانى وأخبره أنه ( هو وجيشه تحت رحمة النوميديين وأن أمامهم أن يموتوا جوعًا أو قتلاً ، ولكنه - مراعاة لظروف واعتبارات إنسانية - يمكن أن يعفو عنهم إذا مروا من تحت النير ( رمز الإذلال ) وأبرموا معاهدة مع يوجورثا وأن

يتركوا نوميديا فى غضون عشرة أيـام . وقـد نفـذ الرومـان هـذه الشـروط المهينـة ليفلتوا من القتل )(٣٧) .

بعد هذه الهزيمة المهينة التى لاقت ردود أفعال عنيفة فـى رومـا وبعـد رفـض السناتو التصديق على المعاهدة التى أبرمها القائد المهزوم مع يوجورثا أرسلت روما لمحاربة يوجورثا واحد من خير قادتها سنة ١٠٩ هو القنصل متيللـوس . لقـد كـان هذا القنصل يتمتـع بسـمعة لا تشـوبها شـائبة وأعـد جيشًـا قويًـا ومجهـزًا وأحسـن الاستعداد تمامًا للحرب بكل ما يلزم لها ، وحظى بمساندة قوية مـن السـناتو الـذى حشـد لـه كذلـك إمـدادات مـن الحلفـاء والمـدن اللاتينيـة والملـوك مـن أصدقـاء رومـا(٣٨). لقـد تهيـأت كـل الظـروف العسـكرية أمـام الرومـان لخـوض منازلـة عسكرية صرفة ضد يوجورثا وليس فيها مجال للخديعـة أو الرشـوة أو أيـة أسـلحة أخرى مما كان يستخدمه يوجورثا حسب إدعاء الرومان . ومع ذلـك فقـد كـانت هذه فرصة سانحة ليوجورثا لإثبات جدارته العسكرية كقائد ومقاتل ومنـاور ممتـاز وها هى الأمثلة التى تبرهن على ذلك .

وبعد أن اجتاح ميتيللوس ريف نوميديا بقواته و لم يجـد فيهـا مـا يـدل علـى حالة حـرب إذ تظـاهر يوجورثـا بـالهدوء ويقـول عنـه سـاللوسـتيوس " لقـد كـان يوجورثا فى غاية الدهاء على دراية كبيرة بالمنطقة وخبيرًا بالأمور العسكرية ، حتى أننا لا ندرى إن كانت خطورته أكثر فى غيابه أم فى حضوره ، فى السـلم أم فـى الحرب"(٣٩) . كان يوجورثا يتابع تحركـات ميتيللـوس وجيوشـه ويترصدهـا عـن طريق قوات الاستطلاع التابعـة لـه وجمـع قواتـه واسـتطاع - مـن خـلال خبرتـه بجغرافية بلاده - أن يسبق جيش ميتيللوس ويرابط بقواتـه علـى المرتفعـات المحاذيـة لأحد الأنهار المحلية ( نهر موثول ) وهى مرتفعات مغطاة بالأشجار والنباتات التـى تخفى تحركات جيشه . وأعد يوجورثا قواته إعداد جيدًا لمواجهة خصمـه بخطـوات مدروسة هـى الشـحن المعنـوى الهـائل لقواتـه ضـد أطمـاع الرومـان فـى وطنهـم وتذكيرهم بأنهم سبق لهم النصر على الرومان وإخضاعهم تحت النير ، ثم أعطـاهم

تعليمات بشن الهجوم على مؤخرة الجيش الرومانى من كل جانب بغير التحام مباشر وبقوة وحيوية هائلة ، كما أصدر أوامره لفرسانه بالتراجع متفرقين وبأقصى سرعة إن هاجمهم الرومان لتشتيت انتباه الرومان(٤٠) . هذه الخطة التى نفذها جيش يوجورثا أربكت صفوف الجيش الرومانى وأوقعته فى فوضى عارمة ولم تعطه فرصة القيادة المنظمة وأوقعت فى صفوفه خسائر كبيرة بفضل ديناميكية يوجورثا وحركته الدائبة بين قواته يشجعهم على مواصلة القتال بكل حيلة ووسيلة(٤١) . وبصعوبة شديدة تمكن ميتيللوس من جمع شتات قواته وشن هجومًا مضادًا ناجحًا ضد قوات يوجورثا التى ولى معظمها بسرعة كبيرة ، وهو الأسلوب الذى نصح به يوجورثا فرسانه ، وهنا اعتقد ميتيللوس أنه حقق النصر على قوات يوجورثا(٤٢) .

وحين أدرك ميتيللوس - من خلال قوات استطلاعه - أن انسحاب يوجورثا لم يكن سوى انسحاب تكتيكى الغرض منه تعبئة جيش أكبر فى منطقة غابات ذات مناعة طبيعية قرر ألا يخوض معارك نظامية ضد يوجورثا بل يقوم بتخريب الأراضى الخصبة وحرق المدن لإلقاء الرعب فى النفوس واحتجاز رهائن كثيرين(٤٣) . وفى مواجهة هذا الموقف قرر يوجورثا أن يرد على هذه الأعمال بالطريقة الملائمة فشن حرب عصابات على القوات الرومانية وكان يباغت الجند الرومان فى أوقات راحتهم ويتسلل إليهم هو وفرسانه من طرق جانبية غير مألوفة ويقتل الكثيرين منهم وأسر الكثيرين وبعدها يتفرق النوميديون من حيث أتوا(٤٤). ونتيجة لذلك بدأ ميتيللوس يلزم الحذر الشديد ولا يندفع دون روية فى تدمير المدن والقرى(٤٥) . ومع ذلك لم يكف يوجورثا عن أعمال المقاومة عن طريق حرب العصابات وكان يقوم بتسميم آبار المياه التى يلجأ إليها الرومان ويفسد أعلاف ماشيتهم ، وتباغت قواته قوات ميتيللوس حينا وقوات مساعده ماريوس حينا آخر مهددًا هؤلاء وهؤلاء دون أن يترك لهم أى فرصة لالتقاط الأنفاس أو تنفيذ خططهم(٤٦) .

وهكذا نرى أن يوجورثا رجل لا يعرف الخوف أو اليأس بل يعاود الكرة بأقوى مما كان ، ومناور بارع يعرف كيفية مواجهة كل موقف بما يلائمه من تكتيكات(٤٧) وخطط ناجحة تجعل العدو يرتبك ويتراجع عن تنفيذ خططه الفاشلة ، كما نراه يستفيد كثيرًا من معرفته بجغرافية بلاده فى شن الهجمات المؤثرة على العدو من خلال طرق ودروب غير مألوفة .

وبعد فشل هذه الخطة من ميتيللوس وثبوت عدم جدواها لجأ إلى خطة يستهدف من ورائها إجبار يوجورثا على مواجهة عسكرية يفرض هو ( ميتيللوس ظروفها . هذه الخطة الجديدة تتمثل فى فرض الحصار على مدينة " زاما " وهى قلعة وحصن الجزء الشرقى من نوميديا ظنا منه أن ذلك سيجبر يوجورثا على المجىء بقواته لنجدة المدينة المحاصرة . لكن يوجورثا فوت هذه الفرصة كذلك على خصمه حين أبدى تشجيعه ومؤازرته المعنوية الهائلة للمدينة وحث سكانها على التصدى للمعتدين الرومان بكل قوة وأنه سيكون إلى جانبهم عند الضرورة ثم غادر المدينة إلى الصحراء (٤٨) . وأبدت مدينة زاما مقاومة صارمة وباسلة ضد الجيش الرومانى الذى كان يحاصرها وضرب أهلها مثلاً رائعًا فى البطولة وساعدهم على ذلك - إضافة إلى عتادها القوى من السلاح والرجال - منعتها الطبيعية وتحصيناتها القوية(٤٩) . وقد أرهق الحصار الطويل للمدينة - دون جدوى - المقاتلين الرومان الذين تكبدوا خسائر فادحة فى الأرواح ، وأدرك ميتيللوس أن الحصار لم يحقق أيا من أهدافه فلا هو أسقط المدينة القوية ولا هو استدرج يوجورثا إلى معركة لا يريدها ولذلك رفع الحصار عن زاما وغادرها(٥٠) دون تحقيق أى إنجاز يذكر بل على العكس بعد أن منى بخسائر فادحة .

وفى نفس الوقت الذى ترك فيه يوجورثا لأهل مدينة ( زاما ) مهمة الدفاع عن مدينتهم وهو ما أنجزوه بكل همة ونجاح كما رأينا ، كان هو يتحين الفرص ويكيل الضربات الموجعة للقوات الرومانية فى أماكن أخرى من نوميديا . فبينما كانت القوات الرومانية تحاصر مدينة زاما انقض يوجورثا فجأة على المعسكر

الرومانى بقوة كبيرة واقتحم إحدى بوابات المعسكر . وفى هذا الموقف المفاجىء حل الذعر والاضطراب بجند المعسكر الرومانى فحاول بعضهم الفرار وحاول آخرون تسليح أنفسهم ولكن سقط معظمهم تقريبًا بين قتيل وجريح ، ولم يصمد من بينهم سوى أقل من أربعين(٥١) وهناك قلة تمكنوا من الفرار صوب ميتيللوس ورجاله ولما أدرك الأخير حقيقة الموقف أرسل كل قوات الفرسان على عجل إلى المعسكر وأمر ماريوس أن يلحق به فورا بسرايا الحلفاء وتوسل إليه بالدموع باسم صداقتهما وبلدهما ألا يسمح بأى وصمة خزى أن تلطخ جيشهم المنتصر وألا يدع الأعداء يفلتون بغير عقاب(٥٢) . لكن يوجورثا كان قد أنسحب هو ورجاله إلى مكان آمن ولكن بعد أن فقد عددًا من رجاله الذين انحشروا فى طرقات وتحصينات المعسكر الضيقة أثناء محاولتهم الانسحاب السريع بعد إنجاز مهمتهم بنجاح . ورغم أن ميتيللوس أخذ حذره من هذا الموقف وقام فى اليوم التالى بتأمين المعسكر بحراسة مشددة من الفرسان الذين قاموا بالمرابطة أمام الجهات التى يتوقع أن يأتى منها النوميديون فإن هؤلاء الأخرين باغتوا المعسكر الرومانى بكمين من نقطة أخرى غير متوقعة أربكت وأفزعت الجند الرومان حتى أتى إليهم مدد لنجدتهم من بقية رفاقهم . وكانت محصلة هذا الكمين أيضًا انتصارًا ليوجورثا وهزيمة للمعسكر الرومانى(٥٣) .

وفى مناسبة لاحقة استعد يوجورثا لتوجيه ضربات أخرى للرومان من خلال تعبئة وإعداد المزيد من الجند ومحاولة استعادة بعض المدن التى استولى عليها الرومان وتحصين المواقع ذات الأهمية . وكان من بين المدن التى احتلها الرومان ووضعوا فيها حاميات مدينة تدعى " فاجا " ، ومع ذلك كان أهلها - كما سيتضح - يدينون بالولاء لملكهم يوجورثا . لقد دبر يوجورثا مع وجهاء المدينة خدعة ومؤامرة للقضاء على الحامية الرومانية فى المدينة ، فحددوا موعدًا لاحتفال كبير يقام فى المدينة ودعوا إليه كبار رجال الحامية من قائد الحامية والترابنة العسكريين وقادة المئات ليشاركوهم الاحتفال فى منازلهم . وفى أثناء الاحتفال ذبح النوميديون ضباط الحامية ولم ينج من المذبحة إلا قائد الحامية اللاتينى

توربيليوس الذى أعدمه الرومان لاحقًا لأنه لم يقدم تبريرًا مقنعًا لكيفية نجاته وحده. وبعد هذه المذبحة بين قادة وضباط الحامية داهم النوميديون جند الحامية الذين كانوا يتجولون بلا أسلحة وانقضوا عليهم وشارك وجهاء المدينة وعامتها بل وحتى أطفالها ونساؤها فى القضاء على الجند الرومان قضاء مبرما بأن أغلقوا عليهم بوابات المدينة وحالوا بينهم وبين قلعتهم وأسلحتهم وانقضوا عليهم ذبحًا ، بل أن النساء والأطفال كانوا يرشقونهم بالحجارة وكل ما تقع عليه أيديهم من فوق أسطح المنازل(٥٤) . وبعد الحزن والغضب الذى سيطر على ميتيللوس إثر سماعه بهذه المجزرة بين قوات حاميته انتقم لهم بعد يومين بالحيلة والخديعة أيضًا إذ سار بقواته نحو المدينة وسير فى مقدمة قواته فرسان نوميديين تابعين له ، وحين اقترب من المدينة ظن أهلها أن يوجورثا قادم إليهم فهبوا لاستقباله بفرحة غامرة وفتحوا بوابات المدينة وهنا أسرع الرومان باقتحام المدينة وتدميرها عن آخرها(٥٥) .

وحتى عندما ساءت حظوظ يوجورثا فى ميدان المعركة أمام ميتيللوس حين سقطت واحدة من أهم وأكبر وأغنى مدنه فى صحراء نوميديا وهى مدينة " ثالا " فى أيدى قوات ميتيللوس(٥٦) تمكن يوجورثا من الفرار مع أسرته ومعظم ثروته إلى الجزء الغربى من نوميديا قرب حدود موريتانيا ( المغرب الحالية ) وكان يقطن ذلك الجزء شعب بدائى يسمى " الجايتوليين " . إن يوجورثا لم يصب باليأس والقنوط بعد هزيمته فى " ثالا " بل استمال إلى صفه هؤلاء الجايتوليين ودربهم ونظمهم وعلمهم أصول الجندية وكون منهم جيشًا جديدًا ، كما اكتسب صداقة الملك بوخوس ملك موريتانيا وأقنعه بالتحالف معه لشن حرب مشتركة ضد الرومان الغاصبين(٥٧) .

وبعد إقصاء ميتيللوس من قيادة الجيش الرومانى فى نوميديا وإسنادها إلى القنصل الجديد ماريوس سنة ١٠٧ ق. م. شن الأخير معارك ناجحة ضد يوجورثا واستطاع - بالغدر والحيلة تارة وبالمصادفة تارة أخرى - إسقاط بعض المدن

والقلاع فى نوميديا كما سنرى لاحقًا . وفى ظل هذه الظروف العصيبة حث يوجورثا حليفة الملك بوخوس على سرعة شن الحرب على الرومان فى نوميديا وطردهم من أفريقيا . وقام الملكان بشن هجوم كبير مفاجىء على قوات ماريوس وهى فى طريقها إلى معسكراتها الشتوية وكان وقت الهجوم قرب غروب الشمس. وتحت وقع المفاجأة حدث ارتباك شديد فى صفوف القوات الرومانية وحاولوا الدفاع عن أنفسهم دون جدوى بسبب الفوضى فى صفوفهم والتفوق العددى للنوميديين والموريتانيين وهجومهم المكثف من كل جانب(٥٨) . وفى هذا الموقف العصيب أوشك الملكان على إحراز نصر ساحق على الرومان لولا أن ماريوس استطاع أن يسحب قواته بصعوبة شديدة إلى تلين مجاورين يتمتعان بحصانة طبيعية وأحاطت بهما جحافل قوات الملكين فى العراء طوال الليل . لكن الملكين أضاعا نصرًا سهلاً كان فى متناول أيديهما حينما سهرت قواتهما التى تحاصر التلين طيلة الليل وهى تتصرف كالمنتصرة فعلاً وتحتفل فى غبطة وسرور وضوضاء حتى حل بهم الإنهاك وخلدوا للراحة(٥٩) . وفى هذه اللحظة هبط الرومان من على التلال وباغتوا القوات المشتركة وهى نائمة مما أصابها بالفزع والذعر الشديدين وأسفر عن هزيمة لقوات الملكين التى أضاعت نصرًا سهلاً كان فى متناول أيديهم فى الليلة السابقة . لقد كانت هزيمة القوات النوميدية والموريتانية فى المرحلة الثانية من هذه المعركة نتيجة خطأ فى التقدير واستهانة بالخصم أكثر من كونها نتيجة لقوة الرومان ، إذ أفلت هؤلاء من هزيمة محققة قبل ساعات قليلة .

وبعد هذه الهزيمة لقوات الملكين يوجورثا وبوخوس أعادا ترتيب قواتهما من جديد وأعدا العدة لمهاجمة قوات ماريوس وهى فى طريقها إلى معسكرها الشتوى فى مدينة " كيرتا " شرق نوميديا . ودارت معركة شرسة بين الطرفين على مقربة من " كيرتا " ، وفى هذه المعركة لجأ يوجورثا إلى الحيلة والخدعة مع الرومان إذ ترك مكانه فى قيادة المعركة فى المقدمة ضد ماريوس سرا وانضم لقوات الملك بوخوس من المشاه الذين يهاجمون مؤخرة الجيش الرومانى . وهناك أشاع بين قوات الجيش الرومانى فى المؤخرة أنهم يحاربون بلا جدوى إذ زعم لهم أنه

(يوجورثا) قد قتل ماريوس بيديه ، وكان لهذه الإشاعة وقع الصدمة بين القوات الرومانية وأشعلت حماس القوات الموريتانية فقاتلت بشجاعة فائقة وأصبحت قاب قوسين أو أدنى من إحراز النصر على الرومان(٦٠) . ولكن ظهور ماريوس المفاجيء ومعه قوات فرسانه وإحاطتهم بقوات بوخوس ويوجورثا أحبط الضربة المعنوية التى كالها يوجورثا لهم ومكن القوات الرومانية من استرداد زمام المبادرة وهزيمة خصومهم .

من كل هذه المواقف السابقة فى المعارك بين يوجورثا وخصومه من كبار القادة الرومان نرى أن يوجورثا لم يكن صيدًا سهلاً للرومان كما لم تكن حملات الرومان عليه فى نوميديا نزهة عسكرية . لقد أثبت الرجل ندديته - وفى كثير من الأحيان تفوقه - للرومان وأفصح عن ملكات عسكرية قديرة وثبات وصلابة لا تلين وذكاء فى مجابهة أعقد المواقف وحسن استغلال لنقاط ضعف وأخطاء عدوه .

إن انتصار الرومان فى نهاية المطاف على يوجورثا لم يكن مرده القوة العسكرية الرومانية وحدها - رغم كفاءة وخبرة وصرامة هذه القوة التى من الخطأ التهوين من شأنها - بل أن هناك عنصرا آخر هامًا استغله الرومان بصورة مكثفة ضد يوجورثا وهو الغدر به وتجنيد أقرب مساعديه وحلفائه لمصلحتهم وتحريضهم على يوجورثا حتى أوقعوا به غدرًا وغيلة .

## بعض مواقف الغدر والخديعة من الرومان ضد يجورثا :

بعد أن أدرك الرومان أن يوجورثا مقاتل ومناور غير عادى - لا سيما بعد هزيمة الجيش الرومانى بقيادة أولوس ألبينوس المهينة وإجبار الجيش الرومانى على المرور " تحت النير " رمز الإذلال - عمدت روما إلى إرسال قادة أقوياء ومشهود لهم بالكفاءة والنزاهة لمجابهة هذا الخطر الجاثم على أنفاسهم . ولنتحدث عن مدى كفاءة هؤلاء القادة الرومان مثل ميتيللوس وماريوس ومدى نزاهتهم . أما كفاءتهم فقد وضعها يوجورثا على المحك - كما رأينا - وألحق بهم ضربات عديدة مؤلمة ومؤثرة وبذلك أثبت أنه كان أكثر من ند لهم . وأما الحديث عن نزاهتهم فقد

كان يقصد به فى العرف الرومانى بعد واحد فقـط هـو عـدم قبولهـم للرشـوة مـن عدوهم وعدم إمكان إفسادهم بهذا السلاح كبقية رجال عصرهم فى روما . لكن هؤلاء لم يكونوا منزهين عن الغدر ومحاولة الإيقاع بعدوهم القوى بعيدًا عن ميدان المعركة بأساليب غادرة وبعيدة عن سلوكيات المقاتل النبيل ، بل لقـد أزمعـوا منـذ البداية اللجوء إلى الغدر كخيار أساسى أزمعـوا - منـذ بدايـة غزوهـم لنوميديـا - استخدامه .

حين وصل ميتيللوس إلى نوميديـا لأول مـرة وكـان يوجورثـا يـدرك مـدى استقامته واستحالة رشوته لجـأ إلى المنـاورة معـه وأرسـل إليـه مبعوثـين مـن جانبـه للتفـاوض معـه وأوهمـه - عـدة مـرات - أنـه ينـوى الاستسـلام . وهنـا يقـول سالوستيوس أنه " لما كان ميتيللوس على علـم مسبق - مـن خـلال تجاربـه - أن النوميديين شعب غادر وذو مزاج متقلب ومغرم بالتجديد فإنه كان يلتقى المبعوثين ( من يوجورثا ) فرادى واحد بعد الآخر ، وظل يسبر أغوارهـم تدريجيًـا وبعـد أن أدرك أنهم ملائمون لغرضه أغراهم بكثير من الوعود لكى يسـلموه يوجورثـا حيـا إن أمكن ، إلا إذا تعذر ذلك فيسلمونه مقتولاً "(٦١) . وبعد ذلـك حـين أخفقـت خطة ميتيللوس فى إسقاط مدينة " زاما " بعد حصارهـا لمـدة طويلـة دون جـدوى وبعد الخسائر الفادحة التى منى بها الرومان هناك جرب أن يستخدم سلاح الغـدر ضد خصمه يوجورثا . لذلك أراد ميتيللوس أن يجند لمصلحته أبرز رجال يوجورثـا وساعده الأيمن المدعو " بوميلكار " الذى أشـرف وخطـط لمؤامـرة اغتيـال ماسـيفا أحد أصحاب الحق فى العرش النوميدى فى روما حـين كـان هنـاك ( بوميلكـار ) بصحبة سيده يوجورثا وأفلح يوجورثا فى تهريبه إلى نوميديا سرًا بعد تنفيذ عمليـة الاغتيال . " ونظرًا للصداقة الوطيدة التى تربط هذا الرجل بيوجورثا فقد كان لديه فرصة عظيمة لخداعه، لذلك حاول ميتيللوس اكتسابه إلى صفة بوعوده الكثيرة له. لذا فقد دبر أولاً أن يأتى الرجل للقاء به سرا ثم تعهد بشرفه أنه إن سلمه يوجورثا حيا أو ميتا فإن السناتو سوف يسقط العقوبة عنه ( المتعلقة بجريمة اغتيال ماسـيفا ) وسـوف يسترد ( بوميلكار ) كافة أملاكه . وكان من السهل إغراؤه وإقناعه لأنـه كان غادرًا بطبيعته ولأنه كان يخشى - إن تم التوصـل إلى سـلام مـع رومـا - أن يكون تسليمه لروما وإعدامه هو شرط إحلال ذلك السلام(٦٢) .

ويبدو أن هذا الاتصال السرى بين ميتيللوس وبوميلكار قد أثمر إذ بدأ الأخير يخطط للخلاص من يوجورثا واجتذب نحوه أحد علية القوم كذلك من النوميديين ويدعى " نابدالسا " الذى كان يحظى بشعبية طاغية بين قومه وكان مقربا جدا من الملك يوجورثا وينوب عنه فى بعض الأمور إذا كان الملك مرهقًا أو مشغولاً بأمور أهم . وقد اتفق بوميلكار و " نابدالسا " على التآمر على ملكيهما يوجورثا واختارا توقيتًا لتنفيذ المؤامرة وإغتيال الملك على أن يتم حسم وترتيب التفاصيل فى وقت التنفيذ طبقًا لظروف الموقف نفسه . ولكن هذه المحاولة أخفقت عندما جبن " نابدالسا " عن الحضور فى التوقيت المحدد بسبب خوفه من هول الجريمة مما أحبط المحاولة . وهنا أرسل بوميلكار رسالة توبيخ وتعنيف لشريكه بسبب تراجعه عن خطتهم المشتركة وحثه على ألا يتراجع عن الأمر وأخبره أن نهاية يوجورثا قد أوشكت . ولسوء حظ طرفى المؤامرة فإن هذه الرسالة قد وقعت فى يد الملك إذ قام خادم " نابدالسا " بالتقاطها من على سرير سيده وهو نائم . وقد دافع " نابدالسا " عن نفسه وأقسم ليوجورثا أنه كان يزمع إبلاغه بالخطة قبل أن يقوم خادمه بذلك(٦٣) . وهنا قام الملك بإعدام بوميلكار وعدد كبير من المتورطين بهذه المؤامرة . ولكن هذا الموقف أثر بشدة على نفسية يوجورثا وهو يرى الغدر من أقرب المحيطين به فلم يطب له من حينها المقام فى ليل أو نهار وأصبح قلما يثق بشخص أو مكان أو زمان وأصبح يخشى مواطنيه وأعداءه على حد سواء ، وكان فى حالة من الترقب الدائم ويقضى لياليه فى أماكن مختلفة ويصحو على كل صوت ويمسك بأسلحته ، وتملكه خوف مرضى(٦٤) .

فى هذه الظروف النفسية السيئة ليوجورثا ازدادت العزلة الخانقة حوله إذ فقد أصدقاءه حيث قتل هو الكثير منهم وفر بعضهم إلى الرومان والبعض الآخر لجأ إلى الملك بوخوس فى موريتانيا . وهنا تقلبت أحواله وازدادت شكوكه ومخاوفه من الغدر والخديعة وأصبح يغير خططه وطرقه وقادة جيشه . وأخيرًا اعتصم يوجورثا ورجاله بمدينة " ثالا " الصحراوية الكبيرة والغنية التى احتفظ فيها بأسرته ومعظم ثرواته . وربما كانت هذه الظروف النفسية الكئيبة التى مر بها

الملك النوميدى أحد أسباب سقوط هذه المدينة فى يد ميتيللوس بعد حصار طويل وبعد هروب يوجورثا وأسرته ومعه معظم ثروته(٦٥) . هكذا ترك الغدر أثره الواضح على يوجورثا ومعنوياته وحالته القتالية لأنه غدر غير متوقع ومن جانب واحد من أخلص أصدقائه .

ورغم أن يوجورثا تماسك من جديد بعد هذا الموقف وكون جيشًا جديدًا من الجايتوليين وتحالف مع بوخوس ملك موريتانيا ضد الرومان وأحرزوا ضدهم بعض الانتصارات الجيدة التى لم يحافظوا عليها للنهاية فإن الغدر والخديعة عادا للظهور مرة أخرى فى وجه يوجورثا وأوديا به هذه المرة . فبعد معارك عديدة للملكين ضد الرومان - رأينا بعضا منها - كان النصر فيها حليف الرومان فى اللحظة الأخيرة بعد أن كان فى متناول أيدى الملكين وضاع لسوء تقديرهما نجد الرومان يعودون مرة أخرى لاستخدام سلاح الغدر ضد يوجورثا وفى هذه المرة عن طريق حليفه الملك بوخوس . فبعد انتصار الرومان على الملكين فى المعركتين اللتين سبقت الإشارة إليهما بدأ بوخوس يرسل رسله إلى الرومان سرا ويطلب من ماريوس أن يرسل إليه اثنين من كبار ضباطه للتفاوض معهما حول مصالحه ومصالح الرومان . وهنا لعب الكويستور سوللا دورا دبلوماسيا فى غاية الأهمية حين بدأ يستميل بوخوس لصفوف الرومان ويثنى على ميله للسلم مع الرومان ويحاول أن يباعد بينه وبين يوجورثا(٦٦) .

وتكررت البعثات والوفود بين بوخوس والرومان وبدأ يوجورثا يخشى من تأثير الرومان على حليفه ولذلك جعل أحد أعوانه ويدعى " أسبار " يحاول التجسس على مهمة سوللا فى بلاط بوخوس . لكن الأخير استطاع أن يغافل رسول يوجورثا بتمويه متعمد وحديث مقتضب مع سوللا فى حضوره إذ تظاهر سوللا بأن مهمته أن يوصل رسالة من ماريوس إلى بوخوس يسأل فيها القائد الرومانى ملك موريتانيا إن كان يرغب فى السلم أم فى الحرب ويرد الملك بأنه سيرد على هذا السؤال بعد عشرة أيام . وبعد انصراف مبعوث يوجورثا مطمئنا لهذا يعقد سوللا والملك بوخوس اجتماعا سريًا(٦٧) بينهما فى الليل يعبر فيه الملك

عن سروره البالغ بصداقة الرومان ويلتمس الأعذار لعدائه السابق لهم ويبدى استعداده لتلبية مطالبهم ويطمئنهم إلى تخليه عن حليفه يوجورثا وأنه لن يتدخل إلى جانبه فى أى حرب مقبلة مع الرومان ولن يسمح له بعبور نهر مولوخا الفاصل بين المملكتين(٦٨) . ولكن سوللا يفاجئ الملك بأن الخدمة الحقيقية التى يستطيع أن يسديها لروما هى أن يقوم الملك بوخوس بتسليم يوجورثا لها بالحيلة ومناه فى المقابل بالصداقة والتحالف مع روما وبجزء من مملكة نوميديا . وبعد رفض وتردد من بوخوس فى البداية لتلبية هذا المطلب الصعب إلا أنه بدأ يقتنع وأذعن فى نهاية الأمر(٦٩) . ووضع بوخوس خطة غادرة لتحقيق ذلك إذ اتصل بحليفه وصديقه يوجورثا وأفهمه أن الرومان يسعون إلى سلام وأنه يتطلع لمعرفة رأيه ، ووافق يوجورثا على رغبة بوخوس ولكن حذره ألا يأمن غدر الرومان الذين كثيرًا ما ينقضون عهودهم ووافق على حضور اجتماع عام مع بوخوس والمبعوث الرومانى سوللا وطلب من بوخوس أن يسلمه سوللا لضمان جدية الاتفاق وتظاهر بوخوس بالموافقة لكى ينفذ خطته العكسية وهى تسليم يوجورثا إلى سوللا . وأعد الكمين بإحكام بين بوخوس وسوللا ومن معه من أفراد الكمين الرومانى المتأهب فى موقع قريب ، ووصل يوجورثا ومعه بعض رفاقه وهو أعزل من السلاح - مطمئنا إلى وعود حليفه - إلى مكان الاجتماع فانقض أفراد الكمين الرومانى على رفاق يوجورثا وقتلوهم واقتادوا معهم الملك الأسير(٧٠) الذى سقط ضحية الغدر والخديعة ولم يسقط فى ميادين المعارك التى أبلى فيها بلاء حسنا . وهكذا انتهت قصة كفاح ملك عظيم ومناضل ثائر ضد هيمنة الرومان على مقدرات تلك المنطقة نهاية مأساوية غادرة سنة ١٠٥ ق. م.

إن يوجورثا حتى فى حالة سقوطه فى ميدان المعركة العسكرية ضد الرومان كان سيبقى ظاهرة بطولية غير عادية إذ تصدى لقوة عسكرية عاتية ومنظمة وذات خبرة قتالية طويلة ، فما بالنا بأن قوة الرومان الهائلة لم تتمكن من القضاء عليه فى ميادين المعارك العسكرية ولم تحطم إرادته الفولاذية وإنما هزمه الغدر والخذلان دون سواهما . ولا شك أننا أمام بطل ومناضل رائع !

* * *

فى الختام يجدر بنا أن نذكر أننا إذا كنا قد توصلنا إلى هـذه الصـورة الرائعـة عن هذا البطل من خلال مصدر كتبه أعداؤه الذين حاولوا جهدهـم تشويه صورتـه فما بالنا لو كانت هناك معلومات عنه من الطرف النوميدى أو من طـرف محـايد . إن استخلاص هذه الصورة من المصدر الرومانى لم يكن أمرا يسيرا أو هينـا ، إذ أن المؤرخ سالوستيوس منحاز بصورة واضحة - فى أحكامـه وعرضـه للأحـداث - للجانب الذى يمثله وهو الجانب الرومانى . ولكنه رغم ذلك صور الوقائع بقدر لا بأس به من الموضوعية وهـى التـى مكنتنـا إلى حـد كبـير مـن محاولـة رسـم صـورة موضوعية نسبيا عن شخصية يوجورثا ودوره الوطنى لخدمة بـلاده ، بعـد أن نحينـا جانبا عواطف المؤرخ وأحكامه وطريقة عرضه المنحـازة للموضـوع وركزنـا علـى الوقائع المجردة فى إطارها التاريخى . ولبيان هـذه النظـرة المنحـازة مـن قبـل المـؤرخ سنورد بعض الأمثلة التى تناقض فيها مع نفسه أو جانبه فيها الصواب . ففـى أحـد المواقف التى حدثت بين يوجورثا وميتيللوس فى أثناء حصار الأخير لمدينة ( زاما ) يبدو تناقض المؤرخ وعدم دقة أحكامه . هذا الموقف يتمثل فى أن ميتيللـوس كـان قد أصدر أوامره لمساعده " ماريوس" بأن يذهـب إلى بلـدة تدعـى "سـيكا " لكـى ينهب بعض المؤن والأعلاف منها ، وكان يوجورثـا يقتفـى أثـر هـذه القـوة وهـى تخرج من بوابة البلدة وكان مع يوجورثا مجموعة من أفضل فرسانه طوقوا الرومـان عند البوابة وهم خارجين بعد تنفيذ مهمتهم . وصاح يوجورثا بأعلى صوته يحرض أهل " سيكا " لكى يحيطوا بمؤخرة الجيـش الرومـانى ويطوقوهـا مـن كـل جـانب وحثهم بأن هذه هى فرصتهم لإنجاز رائع ومجد كبير . ورغم أن سالوستيوس سبق أن قرر فى سياق هذه الفقرة أن هذه البلدة أول من تمرد على يوجورثا بعـد هزيمتـه إلا أنه يقول فى هذا الموقف أنه لـولا أن مـاريوس أسـرع بـالتقدم ومغـادرة المدينـة لانقلـب عليـه معظـم أهلهـا - إن لم يكـن كلهـم - لأن التقلـب مـن شـيم النوميديين(٧١) . التناقض فى أحكام المؤرخ هنا واضح إذ يبدو من الموقف أن أهل هذه البلدة لم يتمردوا على مليكهم يوجورثا كمـا يقـرر المـؤرخ ، فلـو كـانوا قـد انقلبوا عليه فعلاً لما ذكر المؤرخ أنهم كـانوا علـى وشـك الإطبـاق علـى مـاريوس

وجنده الرومان لولا إسراع الأخير بمغادرة المدينة . إن الموقف يوحى بأن أهل البلدة قد خضعوا للرومان على كره منهم ولكنهم لم يفقدوا ولاءهم لملكهم وإخلاصهم له وكانوا يتحينون الفرص للثأر من الرومان ، ولذا يحكم عليهم المؤرخ بالتقلب وهو ليس بتقلب وإنما موقف أصيل كامن فى نفوسهم وهو كره الرومان والرغبة فى هزيمتهم حين تحين الفرصة . إن هذا الاتهام الزائف من المؤرخ سالوستيوس للنوميدين بالتقلب والغدر يتكرر فى عدة مواضع فى مؤلفه(٧٢) ، وهو يقصد بذلك تحينهم الفرص للانتقام من الرومان المحتلين لبلادهم وكأنما المطلوب منهم استمراء الاحتلال والإذعان له حتى لا يوصموا بالغدر والتقلب . نفس الموقف ونفس الاتهام من المؤرخ للنوميديين بالغدر والتقلب حدث مع أهل ( فاجا ) الذين دبروا المذبحة للحامية الرومانية فى المدينة(٧٣) . إنه يتهم أى مقاومة نوميدية للاحتلال الرومانى بأنها غدر وتقلب .

موقف آخر متناقض وغير منطقى يورده المؤرخ سالوستيوس عن يوجورثا وهو أن الأخير - بعد إلحاح وتوسلات وإقناع من مساعده بوميلكار الذى استغل ضعفا فى سيده وهو منهك يندب حظه - قد اقتنع بالاستسلام للقائد الرومانى ميتيللوس وأرسل له رسلاً يعرضون عليه استسلام يوجورثا . وهنا جمع ميتيللوس أركان حربه من رجال السناتو إلى مقر القيادة واتفقوا على شروط استسلام يوجورثا وهى أن يقدم للرومان مئتى ألف رطل من الفضة وكل ما لديه من أفيال وقدر كبير من خيوله وأسلحته وأنه وافق على هذه الشروط على الفور مقابل تسليم الفارين من جنده لدى الرومان . وأنه بعد تنفيذ كل هذه الشروط تردد مرة أخرى - خوفًا من أن يعاقب على جرائمه السابقة - ورفض الاستسلام(٧٤) ! رواية فى غاية العجب وغير قابلة للتصديق ، ومما يزيد من عجبها واستحالتها هو توقيت حدوثها : يذكر المؤرخ أن ذلك قد تم بعد فشل ميتيللوس فى إسقاط مدينة (زاما) بعد حصارها الطويل الفاشل والخسائر التى منى بها الرومان أثناء الحصار من المدافعين عن " زاما " من ناحية ومن ضربات يوجورثا الموجعة للمعسكر الرومانى مما أجبر الرومان على فك الحصار عن زاما . هذا هو ترتيب الأحداث

كما ورد عند المؤرخ وهو ترتيب يجعل الحديث عن استسلام يوجورثا أو مجرد التفكير فى ذلك - فضلاً عن الإقدام عليه - أمرًا غير منطقى وغير وارد ، إذ كيف يفكر قائد منتصر أحبط خطط عدوه ومنعه من تحقيق أى من مآربه وكال له ضربات موجعة فى الاستسلام ؟! صحيح أن المؤرخ ذكر مرارًا فى سياق الموضوع أن يوجورثا عرض أمر استسلامه على كافة القادة الرومان الذين حضروا إلى نوميديا لقتاله من القنصل بستيا إلى سبوريوس ألبينوس وميتيللوس ( الذى عرض أمر استسلام يوجورثا أكثر من مرة ) من خلال مبعوثى يوجورثا لهؤلاء القادة(٧٥). ولكن اتضح أن هذه العروض للاستسلام من قبل يوجورثا لم تكن سوى مناورات ذكية تكتيكية لكسب الوقت أو التدبير لخطط مناسبة أو لمد حبل الغرور أمام هؤلاء القادة والتظاهر أمامهم بضعفه حتى لا يكشف أوراقه أمامهم ثم يباغتهم بضربات غير متوقعة كما رأينا .

النقطة الأخيرة فى سلسلة هذه الأحكام والروايات الرومانية المتحيزة والمتناقضة التى يطلقها المؤرخ سالوستيوس هى تهوينه من شأن جند يوجورثا فى بعض المواقف وتبريره لسبل الغدر والخداع الرومانى ضد المدنيين . ففى أحد المواضع يقارن بين الجند الرومان والنوميديين فيصف الرومان بالشجاعة والإقدام أما عن النوميديين فيذكر أن يوجورثا كان يتمتع بكل ما هو ملائم (لشن الحرب) باستثناء جنده ، وهو يلمح بهذا إلى فرارهم السريع عندما يهجم عليهم الرومان(٧٦) . ولكنه هو نفسه ( المؤرخ ) يشير إلى أن فرارهم السريع - فى الموقف الذى يذكر فيه هذا الحكم - قد ساعد على تقليل خسائرهم إلى أبعد حد بحيث لقى قلة منهم مصرعهم ونجت غالبيتهم ، من خلال فرارهم السريع وقلة دراية الرومان بجغرافية البلاد . وفوق ذلك فإن الفرار المنظم السريع كان تنفيذا لتكتيكات وخطط قائدهم يوجورثا فى مجابهته للرومان(٧٧) . أما عن تبريره لفظائع الرومان ضد المدنيين فلدينا مثال عليه حين أسقط الرومان - بالغدر والخديعة وليس بالقتال - إحدى المدن النوميدية الحصينة فى قلب الصحراء وهى مدينة "كابسا " ، وبعد استسلام المدينة قام الرومان بحرقها وإعدام شبابها وبيع

الآخرين عبيدا وتقسيم غنائم المدينة بين الجند الرومان . هنـا يحـاول سالـلوستيوس أن يتلمس الأعذار الواهية للقائد المنتصر ماريوس فى انتهاكه لقوانين الحرب بالقول بأن ماريوس لم يفعل ذلك بدافع القسوة أو حب المال بل لأن الموقع المذكور كـان مفيدًا جدًا ليوجورثا وكان منيعًا وصعـب الاقتحـام وأن أهـل المدينـة متقلبـون ولا يوثق بهم(٧٨) .

إن الطبيعة البشرية - كما نرى من رواية الرومان لقصة يوجورثا - لم تتغير ولن تتغير : فالمنتصر المحتل دائمًا ما يحاول أن يبرز من الضحية مثالبها - من وجهـة نظره - ويحاول إغفال حقوقها وإيجابياتها وجوانبها المشرقة . كما يحـاول أن يـبرر لنفسه أشد الجرائم هولا وفظاعة وانتهاكًا لأبسط حقوق الإنسان ويقلـب الصـورة ليتهم الضحية بهذه الجرائم النكراء .

ولكن مهما تفنن المحتل فى تشويه الصورة وقلب الحقـائق فـلا يصـح - فـى النهاية - إلا الصحيح .

## هوامش البحث

(1) Sallustius , Bellum Iugurthinum , V , IX : 3 .
(2) Ibid. , VI : 1 - 3 .

VI . 1 :

Sed multo maxume ingenio validus , non se luxu neque inertiae corrumpendum dedit , sed , ut mos gentis illius est , equitare, iaculari , cursu cum aequalibus certare , et cum omnis gloria anteiret , omnibus tamen carus esse ; ad hoc pleraque tempora in venando agere , leonem atque alias feras primus aut in primis ferire , plurumum facere et minumum ipse de se loqui .

VI . 3 :

ad hoc studia Numidarum in Iugurtham accensa , ex quibus si talem virum dolis interfecisset , ne qua seditio aut bellum oriretur anxius erat .

(3) Ibid . , VII. 4 - 7 :

ut nostris vehementer carus , Numantinis maxumo terrori esset . Ac sane , quod diffillumum in primis est , et proelio sternuus erat et bonus consilio , quorum alterum ex providentia timorem , alterum ex audacia temeritatem afferre plerumque solet .

(4) Ibid . , IX . 1 - 2 .

مما يدل على أن يوجورثا كان يدرك أن عمه ميكبسا لم يكن مخلصا نحـــوه ولم يكن – في قرارة نفسه – يتمنى أن يشركه في وراثة العرش أُنظر : XI . 1

(5) Ibid . , XII - XIII , XX - XXVI .
(6) Ibid . , XLI - XLII .

ومن العبارات ذات الدلالة في هذا السياق قول المؤرخ :

" إن السلام الذي كانت تتوق إليه النفوس في زمن الشدة والعسر أثبت – بعد الحصول عليه – أنه أكثر قسوةً ومرارةً من الشدة نفسها . فلقد بدأ النبلاء يسـيئون استغـلال مناصبهم الشرفية وبدأ العامة يسيئون استغلال حريتهم وأصبح كل شخص يسرق ويدمر وينهـب من أجـل مصالحه الشـخصية . وهكذا انقسـم المجتمع إلى حزبين تمزقت الجمهورية بينهما إرباً "

Ita quod in advorsis rebus optaverant otium postquam adepti sunt , asperius acerbiusque fuit . Namque coepere nobilitas dignitatem , populus liberatem in lubidinem vortere , ibi quisque

ducere , trahere , rapere . Ita omina in duas partis abstracta sunt , res publica , quae media fuerat , dilacerata . (XLI - 4 - 5 .)

(7) VIII . 1 : " Romae omnia venalia esse " .

" كل شيء في روما قابل للبيع " ، وهي عبارة تكررت بعد ذلك أكثر من مرة في هذا المصدر : مرة حين استقبل يوجورثا لجنـــة المبعوثين العشرة من السناتو التي قامت بتقســيم المملكـــة بينه وبين أدهربال بعد مقتـــل هيمبسال واســتقطب معظمهم لصفه بالرشاوى والهدايا والوعود فجاملـــوه وأعطـــوه الجزء الغربي من المملكة وهو الجزء الأكثر خصوبة والمأهول بالســكان ثم غادروا المملكة وحينها اقتنـــع يوجورثا نصدق هذه المقولة (XXI . 1) ، وفي المـــرة الثانية قـــال يوجورثا عبارته الشهيرة " هناك مدينة معروضة للبيع ومقدر لها الدمار السريع لو أن هناك مشتري " والتي قالها وهو يغادر مدينة روما حين استدعي إليها ومنح الأمان سنة ١١١ ق.م. وهناك تآمر وقتل أحد من لهم الحق في تولي العرش في روما (XXXV . 10) .

VIII . 2 " ut potius publice quam privatim amicitiam populi Romani coleret neu quibus largiri insuesceret ; periculose a paucis emi , quod multorum esse " .

(8) XIII . 6 :

Itaque paucis diebus cum auro et argento multo Romam legatos mittit , quis praecipit , primum uti veteres amicos muneribus expleant , deinde novos adquirant , postremo quae cumque possint largiundo parare ne cunctentur .

(9) XVI . 1 - 2 :

Vicit tamen in senatu pars illa , quae vero pretium aut gratiam anteferebat . Decretum fit uti decem legati regnum , quod Micipsa optinuerat , inter Iugurtham et Adherbalem dividerent .

(10) Ibid . 3 - 5 .

(11) XX - XXVI .

(12) XXVII .

(13) XV . 4 :

Aemilius Scaurus , homo nobilis , impiger , factiosus , avidus potentiae , honoris , divitarum , ceterum vitia sua callide occultans .

" أيميليوس سكاوروس ، أحد النبلاء وهو يتسم بالحيوية والروح الحزبية والتطلع النهم إلى السلطة والجاه والثروة ، ولديه مقدرة مؤكدة على إخفاء عيوبه ومثالبه بمهارة ودهاء "

XXVII . 5 :

Nam in consule nostro multae bonaeqaue artes animi et corporis erant , quas omnis avaritia praepediebat ; patiens laborum , acri ingenio , satis providens , belli haud ignarus , firmissumus contra pericula et insidias .

" ورغم أن قنصلنا (بستيا) كان يتمتع بخصال كثيرة ممتازة عقليا وجسديا إلا أن جشعه وحبه للثروات طمسـها جميعاً . لقد كان ذا قـدرة فائقة على الاحتمال وذهن حاد وبصيرة كافيـة وخبـرة ودرايـة بالحرب ورباطة جأش فائقة ضد المخاطر والمؤامرات " .

(14) XXIX .

(15) Ibid . (XXIX) . 1 :

Sed ubi Iugurtha per legatos pecunia temptare bellique quod administrabat asperitatem ostendere coepit , animus aeger avaritia facile convorsus est .

ولكن عندما حاول يوجورثا أن يجرب – من خلال مبعوثيه – تأثير المال (على القنصل بستيا) وأوضح له مشقة وصعوبة الحرب التي يزمع خوضها انصرف تفكير القنصل – الذي أفسده حب الثروة – عن هدفه بسهولة .

- 29 . 2 - 3 :

Scaurus , qui tametsi a principio , plerisque ex factione eius corruptis , acerrume regem impugnaverat , tamen magnitudine pecuniae a bono honestoque in pravom abstractus est .

أما سكاوروس فعلى الرغم من معارضته العنيفة للملك من قبل حتى بعد أن طال الفساد والإغواء أغلبية رجال حزبه فقد تحوّل من الفضيلة والشرف إلى شخص منحرف بمبلغ ضخم من المال .

- 29 . 5 :

reliqua cum Bestia et Scauro secreta transigit .

" أما بقية الأمور فقد دبرها (يوجورثا) سراً مع بستيا وسكاوروس .

(16) XXX - XXXII . 1 .

(17) XXXIII ; 2 :

.... , C. Baebium tribunum plebis magna mercede parat , cuius impudentia contra ius et iniurias omnis munitus foret .

واستمال جايوس بابيوس تريبون العامة برشـوة ضخمة حتى يحتمي من خلال وقاحته ضد القانون وضد أي إهانات أو عنف شخصي .

(18) XXXIII - XXXIV .

(19) XXXV .

(20) XXXVI - XXXIX .

(21) XXXVIII . 3 :

Interea per homines callidos diu noctuque exercitum temptabat , centuriones ducesque turmarum partim uti transfugerent corrumpere , alii signo dato locum uti desererent .

(22) XXXI . 12 - 13 ; XXXII . 4 ; XLIII . 5 .

At qui sunt ei , qui rem publicam occupavere ? Homines sceleratissumi , cruentis manibus , immani avaritia , nocentissumi et eidem superbissumi , quibus fides , decus , pietas , postremo honesta atque inhonesta omnia quaestui sunt . (XXXI . 12 - 13) .

من خطبة للتريبون جايوس ميميوس في أعقاب عودة القنصل بستيا من نوميديا :

" ولكن من هم أولئك الذين يمسكون بزمام الحكـم فـي بلدنا ؟ إنهم أناس عتاة في الشر وأيديهم مخضبة بالدماء وذوو جشع هائل وعتاة في الإجـرام ، ورغم ذلك فهم في غاية الصلف والغرور ، وبالنسبة لهم فإن الشـرف (الأمانة) والفضيـلة والولاء وكل شـيء شريف وغير شريف هو مصدر للكسب " .

- tanta vis avaritiae in animos eorum veluti tabes invaserat

لقد كان حب المال الذي اجتاح نفوسهم جارفا كالوباء

- et avaritia magistratuum ante id tempus in Nomidia nostrae opes contusae hostiumque auctae erant .

إن حظوظنا في نوميديا قد تحطمت قبـل هذا التـاريخ (قبـل إرسال ميتيللوس) زادت حظوظ عدونا من جراء جشع أصحاب المناصب (الرومان) وحبهم للثروات .

(23) من قصص التراث الروماني الشهيرة في هذا الخصوص القصة الخاصة بمعلم الأطفال في إحدى المدن الإترورية أثناء قتال روما ضد هذه المدينة في القرن الرابع ق.م. (بعد غزو الغالة لروما ٣٩٠ ق.م.) ، إذ جاء هذا المعلم من هذه المدينـة بالأطفال الذين يدرّس لهم من أبناء كبار المدينة ليكونوا رهائن في أيدي الرومان حتى تستسلم المدينة ، وكان يطمع في مكافأة سخية من الرومان . لكن الرومان بدلاً من ذلك أعـادوا الأطفال إلى ذويهم وعاقبوا المعلم الخائن . ومن القصص الأخرى قصـة طبيب المـلك بيروس ملك ايبيروس الذي عرض على القنصل الروماني فابريكيوس لوسـكينوس سنـة ٢٧٨ أن يدس السم للملك بيروس ويخلص روما منه ، لكن القنصل رفـض العرض وأعـاد الطبيب الخائن وسلمه لبيروس .

(24) XI . 3 :

Sed Hiempsal , qui minumus ex illis erat , natura ferox et iam antea igonbilitatem Iugurthae , quia materno genere impar erat , despiciens .

لقد كان هيمبسال – أصغر هؤلاء الشركاء – متغطرسا بطبيعته ، وكان قد أبـــدى من قبل احتقاره ليوجورثا بسبب نسبه الوضيع من جهة الأم ، حيث لم يكن ندا له .

(أنظر كذلك XI . 5 - 9)

(25) XII .

(26) XIV . 18 :

Postremo Masinissa nos ita instituit patres conscripti , nequem coleremus nisi populum Romanum , ne societates , ne foedera nova acciperemus : abunde magna praesidia nobis in vostra amicitia fore ; si huic imperio fortuna mutaretur , una occidundum nobis esse .

(27) Ibid . 1 :

" Patres conscripti , Micipsa pater meus moriens mihi praecepit , ut regni Numidiae tantum modo procurationem existumarem meam , ceterum ius et imperium eius penes vos esse ; simul eniterer domi militiaeque quam maxumo usui esse populo Romano , vos mihi cognatorum , vos adfinium loco ducerem : si ea fecissem , in vostra amicitia exercitum , divitias , munimenta regni me habiturum .

(28) Ibid . , 25 :

nolite pati regnum Numidiae , quod vostrum est , per scelus et sanguinem familiae nostrae tabescere .

(29) XLIX . 2 :

monet atque obtestatur uti memores pristinae virtutis et victoriae sese regnumque suum ab Romanorum avaritia defendant .

(30) LXXXI . 1 :

يقول يوجورثا وهو يحرّض حليفه الملك بوخوس ملك موريتانيا على الرومان :

Romanos iniutos , profunda avaritia communis omnium hostis esse ; eandem illos causam belli cum Boccho habere , quam secum et cum aliis gentibus , lubidinem imperitandi , quis omnia regna advorsa sint . Tum sese , paulo ante Carthaginiensis , item regem Persen , post uti quisque opulentissumus videatur , ita Romanis hostem fore .

" إن الرومان ظالمـــون وأطماعـــهم لا تقف عند حد وهم يناصـــبون كل الناس العداء ودافعهم لشن الحرب على بوخوس هـــو نفس دافـــعهم لشن الحرب على أنفسهم وعلى الأمم الأخرى ألا وهو شهوة السيطرة والكراهيـــة والخصومة لكافة الممالك . فعدوهم

الحالي هو يوجورثا وقبل قليل كان القرطاجيون والملك بيرسيوس ، وبعد ذلك يتخذون عدواً لهم من يعتقدون بأنه أقوى الأقوياء "

(31) XV . 1 :

legati Iugurthae ..... paucis respondent . Hiempsalem ob saevitiam suam ab Numidis interfectum , Adherbalem ultro bellum inferentem , postquam superatus sit , queri quod iniuriam facere nequivisset ; Iugurtham ab senatu petere ne se alium putarent ac Numantiae cognitus esset , neu verba inimici anta sua poneret .

(32) Ibid . 2 - 3 :

Fautores legatorum , praeterea senatus magna pars gratia depravata Adherbalis dicta contamnere , Iugurthae virtutem extollere laudibus ; gratia , voce , denique omnibus modis alieno scelere et flagitio sua quasi pro gloria nitebantur .

(33) XXII . 2 - 5 :

Quorum Iugurtha accepta oratione respondit sibi neque maius quicquam neque carius auctoritate senatus esse ; ab adulescentia ita se enisum ut ab optumo quoque probaretur ; virtute , non malitia P. Scipioni summo viro placuisse ; ob easdem artis a Micipsa , non penuria liberorum in regnum adoptatum esse . Ceterum quo plura bene atque strenue fecisset , eo animum suum iniuriam minus tolerare . Adherbalem dolis vitae suae insidiatum ; quod ubi comperisset , sceleri eius obviam isse . Populum Romanum neque recte neque pro bono facturum , si ab iure gentium sese prohibuerit . Postremo de omnibus rebus legatos Romam brevi missurum . Ita utrique digrediuntur . Adherbalis appellandi copia non fuit .

(34) XXIII - XXVI .

(35) XXXIII . 1 :

Igitur Iugurtha contra decus regium cultu quam maxume miserabili cum Cassio Romam venit .

(36) XXXVI . 2 :

At contra Iugurtha trahere omnia et alias deinde alias morae causas facere , polliceri deditionem ac deinde metum simulare , cedere instanti et paulo post , ne sui diffiderent , instare ; ita belli modo , modo pacis mora consulem ludificare .

(37) XXXVII - XXXVIII :

- At Iugurtha , cognita vanitate atque imperitia legati , subdole eius augere amentiam , missitare supplicantis legatos , ipse quasi vitabundus per saltuosa loca et tramites exercitum ductare .

Denique Aulum spe pactionis perpulit , uti relicto Suthule in abditas regiones sese veluti cedentem insequeretur . (38. 1 - 2)

- Intempesta nocte de improviso multitudine Numidarum Auli castra circumvenit .....

Vis magna hostium , caelum nocte atque nubibus obscuratum , periculum anceps , postremo fugere an manere tutius foret , in incerto erat .

Nostri foeda fuga , plerique abiectis armis , proxomum collem occupaverunt . Nox atque praeda castrorum hostis quo minus victoria uterentur remorata sunt . (38 . 4 - 8)

Tametsi ipsum cum exercitu fame et ferro clausum teneret , tamen se memorem humanarum rerum , si secum foedus faceret , incolumis omnis sub iugum missurum . Praeterea uti diebus decem Numidia decederet . Quae quamquam gravia et flagiti plena erant , tamen quia mortis metu mutabantur , sicuti regi lubuerat pax convenit . (38 . 9 - 10)

(38) XLIII . 1 , 3 - 4 :

Metelloque Numidia evenerat , acri viro et quamquam advorso populi partium , fama tamen aequabili et inviolata .

وقد آلت نوميديا إلى ميتيللوس وهو رجل ذو همة ورغم أنه كان مناوئاً للحزب الشعبي فإن سمعته كانت دوما فوق الشبهات .

denique omnia , quae in bello vario et multarum rerum egenti usui esse solent . Ceterum ad ea patranda senatus auctoritate , socii nomenque Latinum et reges ultro auxilia mittundo , postremo omnis civitas summo studio adnitebatur .

وباختصار فقد أعد كل ما رآه ذا جدوى بالنسبة لحرب ذات طابع متغير وتحتاج لإمدادات كبيرة . وبالإضافة إلى هذه فإن السناتو آزره بسلطته كما سانده المدن اللاتينية والملوك بإرسال مدد إضافي ، لقد أبدت الدولة بأسرها أقصى درجات الحماس .

(39) XLVI . 8 :

Nam in Iugurtha tantus dolus tantaque peritia locorum et et militiae erat , ut absens an praesens , pacem an bellum gerens perniciosior esset , in incerto haberetur .

(40) XLVIII - L .

- عن الشحن المعنوي من يوجورثا لجنوده وقواته أنظر : XLIX . 2 - 4 .

- عن النصائح والخطط القتالية من يوجورثا لقواته وتنفيذ هذه الأوامر أنظر :

L . 3 - 5 .

Dein repente signo dato hostis invadit . Numidae alii postremos caedere , pars a sinistra ac dextra temptare , infensi adesse atque instare , omnibus locis Romanorum ordines conturbare .

وفجأة أعطى الإشارة لقواته بشن الهجوم ، وقام بعض النوميديين بمهاجمة خلفية الجيش الروماني وهاجم جـــزء منهم الميسرة والميمنة وضغطـــوا عليهم بضراوة وثبات فأثاروا الارتباك في كافة الصفوف والمواقع الرومانية .

ante iam docti ab Iugurtha equites , ubi Romanorum turma insequi coeperat , non confertim neque in unum sese recipiebant , sed alius alio quam maxume divorsi .

وحسب تعليمات يوجورثا لهم من قبـــل فإن الفرسان النوميديين حين كانت ســـرية من الرومان تبدأ في الهجوم عليهم كانوا يرتـــدّون فرادى وفي اتجاهات متفرقة وينتشرون في أوسع مساقة ممكنة .

(41) LI . 1 :

Ceterum facies totius negoti varia , incerta , foeda atque miserabilis . Dispersi a suis pars cedere , alii insequi , neque signa neque ordines observare , ubi quemque periculum ceperat ibi resistere ac propulsare , arma tela , equi viri , hostes atque cives permixti , nihil consilio neque imperio agi , fors omnia regere .

وهكذا فإن الأمر برمته أصبح مرتبكا يغلب عليه الشك وشائنا وبائساً . إذ تفرق البعض عن رفاقهم وولى بعضهم الأدبـــار وهاجـــم البعض الآخـــر ولم يكن باستطاعتهم متابعة راياتهم أو صفوفهم ، وإنما حين كان الخطر يحدق بأحدهـــم كان يثبت مكانه ويدافع عن نفسه . وهكذا اختلطت الأسلحة كما اختلطت الخيـــول بالناس والأعـــداء بالمواطـــنين ، ولم تعد هناك فرصة لنصيحة أو قيادة وإنما تحكم الحظ في كل شيء .

(42) LIV . 1 :

hortatur ad cetera , quae levia sunt , parem animum gerant ; pro victoria satis iam pugnatum , reliquos labores pro praeda fore .

وحثهم (حث ميتيللوس جنده) على الاستمساك بشجاعتهم لإنجاز المهام اليسيرة الأخرى المتبقية وأن قتالهم من أجل النصـــر قد وصل إلى نهايتـــه ، أما بقية جهودهم فسوف تتركز على الغنائم والأسلاب .

(43) Ibid . 5 - 6 .

(44) Ibid . 9 - 10 :

ipse cum delectis equitibus Metellum sequitur , nocturnis et aviis itineribus ignoratus Romanos palantis repente aggreditur . Eorum plerique inermes cadunt , multi capiuntur , nemo omnium intactum

profugit , et Numidae , prius quam ex castris subveniretur , sicuti iussi erant , in proxumos collis discedunt .

وقد قام هو بنفسه (يوجورثا) مع صفوة منتقاة من فرسانه بتعقب ميتيللوس وهاجم الجند الرومان المتسكعين بغتة أثناء الليل عبر دروب غير معروفة فسقط كثير منهم وهم غير مسلحين وأسر كثيرين ولم يفلت منهم واحد من غير أذى . أما النوميديون فقد تفرقوا في التلال القريبة – كما أمروا – من قبل أن يأتي مدد من المعسكر الروماني .

(45) LV . 4 :

neque post insidias Iugurthae effuso exercitu praedari ; ubi frumento aut pabulo opus erat , cohortes cum omni equitatu praesidium agitabant ; exercitus partem ipse , reliquos Marius ducebat .

وبعد كمين يوجورثا لم يعد (ميتيللوس) ينهب البلاد بجيشه بغير نظام ، وفي وقت الحاجة إلى الحبوب أو الأعلاف كانت السرايا تقوم بمهمة الحراسة ومعها كافة الفرسان ، وكان هو يقود جزءا من الجيش ويتولى ماريوس قيادة الباقين .

(46) Ibid . , 8 :

Eo tempore Iugurtha per collis sequi , tempus aut locum pugnae quaerere , qua venturum hostem audierat , pabulum et aquarum fontis , quorum penuria erat , corrumpere , modo se Metello , interdum Mario ostendere , postremos in agmine temptare ac statim in collis regredi , rursus aliis , post aliis minitari , neque proelium facere neque otium pati , tantum modo hostem ab incepto retinere .

وفي ذلك الوقت كان يوجورثا يشق طريقه عبر التلال يرقب الموقف لتحديد زمان ومكان القتال ويقوم بتسميم الأعلاف وعيون الماء القليلة التي كان يسمع أن الأعداء سيأتون إليها . ثم يظهر لميتيللوس تارة ولماريوس تارة أخرى ويقوم بمحاولة هجومية على مؤخرة الجيش ثم يتقهقر إلى الجبال فورا ويشكل تهديدا لهؤلاء مرة أخرى وبعدها يهدد الآخرين . فلا هو اشتبك في معركة ولا هو خلد إلى الراحة وإنما أعاق أعداءه عن محاولتهم .

(47) LIV . 9 :

Tamen ex copia quod optumum videbatur consilium capit ,

ومع ذلك فقد كان يتبنى أفضل خطة يراها الأنسب حسب الفرصة المتاحة .

(48) LVI . 1 - 3 :

Iugurtham laborantibus suis auxilio venturum ibique proelium fore .

..... " وأن يوجورثا سوف يأتي لمساعدة رعاياه في محنتهم وهناك تقع المعركة "

Oppidanos hortatur moenia defendant ..... Praeterea pollicetur in tempore semet cum exercitu adfore . Ita compositis rebus , in loca quam maxume occulta discedit ,

وحث (يوجورثا) أهل المدينة على الدفاع عن أسوارهم .... ثم وعدهم أن يأتي بنفسه ومعه جيشه إليـــهم في الوقت المناسب . وبعد أن أجرى هذه الترتيبات انسحب إلـــى أماكن قصية وسرية للغاية .

(49) LVII - LX .

(50) LXI . 1 :

Metellus postquam videt frustra inceptum , neque oppidum capi neque Iugurtham nisi ex insidiis aut suo loco pugnam facere et iam aestatem exactam esse , ab Zama discedit .....

وبعد أن رأي ميتيللوس عبث محاولـــته حيث لم يتم الاســتيلاء على المدينة كما أن يوجورثا لم يلتحم في قتال معهم إلا من خلال الكمائن أو من على أرضه هو (من الموقع الذي يحدده هو) كما أن الصيف كان على الأبواب ، انسحب من زاما .

(51) LVIII . 1 - 3 :

Dum apud Zamam sic certatur , Iugurtha ex improviso castra hostium cum magna manu invadit , ..... portam irrumpit . At nostri repentino metu perculsi sibi quisque pro moribus consulunt ; alii fugere , alii arma capere , magna pars volnerati aut occisi . Ceterum ex omni multitudine non amplius quadraginta memores nominis Romani ,

(52) Ibid . , 5 :

Igitur equitatum omnem ad castra propere misit ac statim C. Marium cum cohortibus sociorum , eumque lacrumans per amicitiam perque rem publicam obsecrat nequam contumeliam remanere in exercitu victore neve hostis inultos abire sinat .

(53) LIX :

2 - Interim Iugurtha ex occulto repente nostros invadit . Qui in proxumo locati fuerant , paulisper territi perturbantur , reliqui cito subveniunt .

3 - sed advorsis equis concurrere , implicare ac perturbare aciem ; ita expeditis peditibus suis hostis paene victos dare .

(54) LXVI - LXVII .

(55) LXVIII - LXIX .

(56) LXXV - LXXVI .

(57) LXXX . 1 - 3 :

Iugurtha postquam amisse Thala nihil satis firmum contra Metellum putat , per magnas solitudines cum paucis profectus , pervenit ad Gaetulos , genus hominum ferum incultumque et eo tempore ignarum nominis Romani . Eorum multitudinem in unum cogit ac paulatim consuefacit ordines habere , signa sequi , imperium observare , item alia militaria facere . Praeterea regis Bocchi proxumos magnis muneribus et maioribus promissis ad studium sui perducit , quis adiutoribus regem aggressus , impellit uti advorsus Romanos bellum incipiat .

وبعد أن فقد يوجورثا مدينة ثالا اعتقد بأنه ليس هناك من شيء يقف في وجه ميتيللوس فسار مع قلة من أتباعه في الصحاري الشاسعة حتى وصـــل إلى الجايتوليين وهم شعب بدائي غير متحضر لم يكن قد سمع حتى ذلك الحين باســم روما . وقام يوجورثا بجمع شتاتهم في مكان واحد وعودهم تدريجيا على الانتظـــام في صـــفوف والانضـــواء تحت رايات وطاعة الأوامر وتأدية المهام العسكرية الأخرى . ثم اكتسب واستمال إليه أقرب معاوني الملك بوخوس بالهدايا الفخمة والوعود الكبيرة ، ومن خلال مساعدتهم استطاع التقرب من الملك وأغراه بأن يشن الحرب ضد الرومان .

(58) XCVII .

4 - 5 : et priusquam exercitus aut instrui aut sarcinas colligere , denique antequam signum aut imperium ullum accipere quivit , equites Mauri atque Gaetuli , non acie neque ullo more proeli sed catervatim , uti quosque fors conglobaverat , in nostros , incurrunt .

Qui omnes trepidi improviso metu ac tamen virtutis memores aut arma capiebant .

وقبل أن ينتظـــم الجيـــش أو تُعبأ الإمـــدادات وقبل أن تصدر أية إشارة أو أمر باغت الفرسان الموريتانيون والجايتوليون رجالنا ليس في هيئـــة صفوف أو أي خطة لمعركة بل في جماعات وأسراب حسبما اتفق .

وقد حلّ الارتباك بكافة رجالنا وتملكهم الذعـــر من هـــول المفاجأة ومع ذلك تذكروا شجاعتهم وتناولوا أسلحتهم .

(59) XCVIII - XCIX .

98 . 6 : Dein , crebris ignibus factis , plerumque noctis barbari more suo laetari , exultare , strepere vocibus et ipsi ducos feroces , quia non fugerant , pro victoribus agere .

وبعد أن أشعـــل البرابـــرة حرائـــق عديـــدة قضوا معظم الليل – كما هي عادتهم – في

الابتهاج والجذل الصاخب ، بل وحتى قادتهم الذين تملكهم الفخر والثقة لأنهم لم يجبروا على الفرار تصرفوا تصرف المنتصرين .

- Deinde , ubi lux adventabat , defessis iam hostibus ac paulo ante somno captis , de improviso vigiles , item cohortium , turmarum , legionum tubicines simul omnis signa canere , milites clamorem tollere atque portis erumpere iubet . (XCIX . 1)

ثم حين اقترب النهار وحل الإرهاق بالأعداء أخيرا وخلدوا لتوهم للنوم أمر (ماريوس) بصورة مفاجئة أن يقوم الحراس ونافخوا الأبواق في الكتائب وســرايا الفرسان والفرق بإصدار الإشارة بصوت عال وأن يرفع الجند صيحاتهم ويندفعوا نحو بوابات المعسكر.

- Denique omnes fusi fugatique arma et signa militaria pleraque capta , (99 - 3)

وأخيرا فإن الأعداء هزموا هزيمة نكراء وأجـــبروا على الفرار وتم الاستيلاء على قدر كبير من أسحلتهم ورياتهم الحربية .

(60) CI . 6 - 7 :

Dein Numida cognito Bocchi adventu clam cum paucis ad pedites convortit . Ibi Latine - nam apud Numantiam loqui didicerat - exclamat nostros frustra pugnare , paulo ante Marium sua manu interfectum . Simul gladium sanguine oblitum ostendere ,
..... Quod ubi milites accepere , magis atrocitate rei quam fide nuntii terrentur , simulque barbari animos tollere et in perculsos Romanos acrius incedere .

ثم حين علم النوميدي (يقصد الملك يوجورثا) بوصول بوخوس اتخذ طريقه سرا مع قلة من أتباعه باتجاه مشاة الملك (بوخوس) . وهناك صـــاح باللاتينية – التي تعلم الحديث بها وهو في نومانتيا – أن رجالنا يحاربون بلا جـدوى إذ ســبق له قبــل قليل أن قتل ماريوس بيده . وأبرز سيفا مخضبا بالدماء ..... وحين سمع جنودنا ذلك تملكهم الرعب ليس لأنهم صـدقوا هــذا القول بل بالأحرى لبشاعة الأمر ، وفي الوقت ذاتــه ارتفعت معنويات البرابرة وشنوا هجوما أكثر ضراوة على الرومان المحبطين .

(61) XLVI . 3 - 4 :

Sed Metello iam antea experimentis cognitum erat genus Numidarum infidum , ingenio mobili , novarum rerum avidum esse . Itaque legatos alium ab alio divorsos aggreditur ac paulatim temptando , postquam opportunos sibi cognovit , multa pollicendo persuadet , uti Iugurtham maxume vivom , sin id parum procedat , necatum sibi traderent .

(62) LXI . 4 - 5 :

quod ei per maxumam amicitiam maxuma copia fallundi erat , multis pollicitationibus aggreditur . Ac primo efficit uti ad se colloquendi , gratia occultus veniat , deinde fide data , si Iugurtham vivom aut necatum sibi tradidisset , fere ut illi senatus impunitatem et sua omnia concederet , facile Numidae persuadet cum ingenio infido tum metuenti ne , si pax cum Romanis fieret , ipse per condiciones ad supplicium traderetur .

(63) LXX - LXXI .

(64) LXXII .

1 - Bomilcare aliisque multis , quos socios insidiarum cognoverat , interfectis iram oppresserat , nequa ex eo negotio seditio oreretur .

وبعد إعدام بوميلكار وآخرين كثيرين ممن أثبت تورطهم في المؤامرة كظم غضبه حتى لا يثور تمرد من جراء هذا الأمر .

2 - Neque post id locorum Iugurthae dies aut nox ulla quieta fuit ; neque loco neque mortali cuiquam aut tempori satis credere , civis hostisque iuxta metuere , circumspectare omnia et omni strepitu pavescere , alio atque alio loco saepe contra decus regium nocta requiescere , interdum somno excitus arreptis armis tumultum facere , ita formidine quasi vecordia exagitari .

(65) LXXIV - LXXVI .

(66) CII .

(67) CVIII - CIX .

- Postquam sicuti voluerat congressi , dicit se missum a consule venisse qauaesitum ab eo pacem an bellum agitaturus foret . Tum rex , uti praeceptum fuerat , post diem decumum redire iubet : ac nihil etiam nunc decrevisse , sed illo die responsurum . Deinde ambo in sua castra digressi . Sed ubi plerumque noctis processit , Sulla a Boccho occulte accersitur ; ab utroque tantum modo fidi interpretes adhibentur .

(68) CX .

من أقوال بوخوس لسوللا في هذه المناسبة :

- denique nihil me sciente frustra voles

باختصار فسوف لن أرد لك رغبة طالما كنت على علم بها .

- gerite quod voltis cum Iugurtha bellum . Ego flumen Muluccham , quod inter me et Micipsam fuit , non egrediar neque id intrare Iugurtham sinam .

- شنوا ما تشاءون من حـــرب على يوجورثا . ولن أسمح لنفسي ولا ليوجورثا بعبور نهر مولوخا الذي كان يفصل بين حدودي وحدود مكيبسا .

(69) CXI :

1 - Faciundum aliquid , quod illorum magis quam sua retulisse videretur ; id adeo in promptu esse , quoniam copiam Iugurthae haberet . Quem si Romanis tradidisset , fore ut illi plurumum deberetur ; amicitiam , foedus , Numidiae partem quam nunc peteret , tum ultro adventuram .

2 - Rex primo negitare ; cognationem , affinitatem , praeterea foedus intervenisse .

3 - Denique saepius fatigatus lenitur et ex voluntate Sullae omnia se facturum promittit .

١ - إذ لا بد أن يفعل شيئا مختلفا يكون في مصلحتهم (الرومان) أكثر مما يصيب في مصلحته هو (بوخوس) وذلك أمـــر في متناوله لأنه يستطيع السيطرة على يوجورثا . فإذا ما ســلم يوجورثا للرومـــان فســيكونون مدينين له بشدة وسوف يحظى بالصداقة والمعاهدة وجزءا من نوميديا وهو ما يصبو إليه الآن .

٢ - وقد رفـــض الملك في أول الأمر قائـــلا بأن علاقته وقرابته وكذلك معاهدته (مع يوجورثا) تحول دون ذلك .

٣ - وأخيرا وبعد قدر كبير من الجهد أذعن لمشيئة سوللا ووعد بتنفيذ كل ما يرغبه .

(70) CXII - CXIII .

Deinde ubi dies advenit et ei nuntiatum est Iugurtham haud procul abesse , cum paucis amicis et quaestore nostro quasi obvius honoris causa procedit in tumulum facillumum visu insidiantibus . Eodem Numida cum plerisque necessariis suis inermis , uti dictum erat , accedit ac statim signo dato undi que simul ex insidiis invaditur . Ceteri obtruncati , Iugurtha Sullae vinctus traditur et ab eo ad Marium deductus est .

وحين أشرق النهار ونما إلى علمه (الملك بوخـــوس) أن يوجورثا كان على مقربة تقدم ومعه قلة من الأصدقاء والكويستور ســـوللا إلى تلة عالية واضحـــة وعلـــى مرأى من المختبئين في الكمين ، وكما (لو كان ذهابهم إليه) بمثابـــة تكريم له (ليوجورثا) . وقد أتي النوميدي (يوجورثا) إلى نفس المكان مع جماعة من رفاقه وهم عزل من السلاح – حسب الاتفاق ، وفي الحال أُعطيت إشارة للمختبئين فاندفعوا من كل اتجاه على الفور . وقتل بقيـــة رفاقـــه أما يوجورثا فتمت السيطرة عليه وتسليمه إلى سوللا الذي أخذه إلى

ماريوس .

(71) LVI .

3 - quod oppidum primum omnium post malam pugnam ab rege defecerat .

5 - Ac ni Marius signa inferre atque evadere oppido properavisset , profecto cuncti aut magna pars Siccensium fidem mutavissent ; tanta mobilitate sese Numidae gerunt .

(72) أنظر على سبيل المثال :

XLVI . 3 , 6 ; LXVI . 2 ; XC 1 - 7 .

Nam volgus , uti plerumque solet et maxume Numidarum , ingenio mobili seditiosum atque discordiosum erat , cupidum novarum rerum , quieti et odio advorsum . (LXVI . 2)

يتحدث المؤرخ هنا عن أهل مدينة (ثاجا) الذي دبروا مؤامرة ومذبحـــة لرجـــال الحامية الرومانية في المدينة فيقول " أما العوام فقد جرت العادة بينهم مثل معظم النوميديين على تقلب المزاج والتمرد والفوضى والرغبة في التغيير وكانوا يكرهون الهدوء والسكينة " .

(73) LXVI . 2 - 4 .

(74) LXII .

(75) XXIX . 4 - 6 ; XXXVI . 2 ; XLVI . 2 ; XLVII . 3 .

(76) LII . 2 , 4 :

2 - Nam Metello virtus militum erat , locus advorsus , Iugurthae alia omnia praeter milites opportuna .

4 - Amisso loco Numidae fusi fugatique . Pauci interiere , plerosque velocitas et regio hostibus ignara tutata sunt .

(77) أنظر هامش رقم (40)

(78) XCI . 7 :

Id facinus contra ius belli non avaritia neque scelere consulis admissum , sed quia locus Iugurthae opportunus , nobis aditu difficilis . genus hominum mobile , infidum , ante .....